استشراف مستقبل الأمة

مراجعة لنماذج المحاكاة ومداخل دراسة المستقبلات البديلة

سهيل عناية الله*

هذا المقال نقد لطرق مقاربة المستقبل، وعرض للمشاهد المستقبلية (السيناريوهات) للعالم الإسلامي، ويغطي النقد نماذج عالمية متنوعة تشمل نموذج نادي روما "حدود النمو"[1] ونموذج "البشرية عند المنعطف"[2] و"عالم عام ألفين"[3] وغيرها من مداخل فهم المستقبل. وانطلاقاً من نظرية ما بعد البنيوية نتساءل ماذا تفتقد هذه النماذج؟ وما الذي يجعل التحليل متميزاً؟ وأي الأطر المعرفية وطرائق المعرفة تؤكد عليها النماذج المستخدمة؟ وسنحاول أن نخطو خطوة أبعد من سؤال ماركس المتعلق بالطبقة ومن المنتفع مالياً، فالقضية عندنا أعمق من ذلك بكثير؛ فنحن مهتمون بأي أطر المعرفة وأي الأطر الحضارية (على نحو أكثر ملاءمة من منظور إسلامي) متميزة وتعد الأكثر أهمية، وثمة تذييل يعرض توصيات تركز على جعل الأمة الإسلامية أكثر توجهاً نحو المستقبل.

---

* د. سهيل عناية الله عالم سياسة في مركز الاتصالات بجامعة ويتر لاند للتقنية في برسبان باستراليا وأحد أعضاء هيئة تحرير بريودكا إسلاميكا (الدورية الإسلامية) وعضو هيئة اتحاد دراسة مستقبلات العالم.

١ Donella Meadows et al, The Limits to growth, (London: Pan Books, 1974).

٢ Mihajlo Mesarovic and Eduard Pestel, Mankind at the Turning Point (New york: E. P. Dutton, 1974).

٣ William Halal, "World 2000: An international planning Dialogue to Help Shape the New Global System", Futures 25, no. 1 (January 1993): 5-21.

ومع ذلك فإن النماذج العالمية واحدة من بين طرق مقاربة أو فهم المستقبل، فثمة طرق أخرى لذلك يمكن منها اشتقاق توكيدات معينة عن القضايا والاتجاهات والمشاهد المستقبلية التي يحتمل أو يمكن أن تشكل المستقبل، وسنبحث أيضاً فائدة هذه النماذج في فهم مستقبل الأمة الإسلامية ونخلص برؤى لمستقبل الأمة.

رؤية الخيال وتخيل الرؤية

ليس الغرض من هذا النقاش تلخيص النمذجة العالمية[٤] أو الدراسات المستقبلية[٥] فهذا التلخيص معروض في مواضع أخرى بشكل بالغ التفصيل، لكن غرضنا استخدام مثل هذا النقاش لتحليل المستقبلات البديلة أمام الأمة في الأجيال القادمة، وإصدار توصيات بسياسات حول قضايا من قبيل كيفية رؤية هذه المستقبلات. إننا ونحن معنيون بالرؤية لا نتساءل عما قد يكون عليه المستقبل (باعتبار بنية الأحداث والاتجاهات التاريخية فحسب)، بل عما نريد أن يكون عليه هذا المستقبل أيضاً، ويصبح التحدي هنا كيفية تخيل مستقبلات تختلف عن الحاضر، وتأخذنا إلى المجهول، وتلجئنا للخروج عن فئات وأنماط الحاضر، فالرؤية إذاً انقطاع عن الحاضر، ومن ثم لا يمكن الوصول إليها بنمذجة المحاكاة. إن الرؤية تعني أكثر مما نحن عليه، ولا يمكن التخطيط لها بشكل رشيد، فرؤية ما عن المستقبل هي بالأساس عن الاسطورة، وتتعلق ببنى معنوية عميقة تجعل الناس على ما هم عليه[٦]. وتدور الأسطورة بشكل أساسي حول المعاناة والتجاوز، عن جماعة تتخلق عبر رحلة مشتركة.

---

[٤] انظر:

Sam Cole, "Global Models-A Review", Futures 19, no. 4 (August 1987): 403-430; and Sam Cole, "Global Models, Data Bases and Geographic Information Systems", in The knowledge Base of Futures Studies, ed. Richard Slaughter (Melbourne: DDM and Future Study Center, 1996).

[٥] انظر مثلاً:

Rick Slaughter, ed., The Knowledge Base of Futures Studies (Melbourne: DDM and Future Study Center, 1996).

[٦] لمزيد من القراءة، أنظر:

William Irwin Thompson, Imaginary Landscape: Making Worlds of Math and Science (New York: St. martin's Press, 1989).

هل يعني هذا أن جهود تخيل مستقبل الأمة تضييع للوقت؟ لا، مطلقـــاً، ولكنه يعني أن جهودنا المبذولة لهذه الرؤية يجب، في المقـــام الأول، ألا تكـــون محدودة بالتحليل الفكري، فوسائل المعرفة والكينونة الأخرى كالشعر والفـــن والعمارة والشعائر وعمل الجماعة كلها بالقدر نفسه من الأهمية. وكل ما يمكن أن يقوم به المفكرون أن يبتكروا سياقات للأحلام والرؤى، ويمكنـــهم القيـــام بذلك بإسباغ الشرعية على هذه الرؤى وجعلها أكثر واقعية بالنسبة إلى أولئـك الذين يعيشون في عوالم الاستراتيجية والاقتصاد، إلا أن الرؤية أكثر من مجـــرد وسائل للمعرفة، فهي عملية يجب أن تباشرها القيادة والجمهور بشكل جـــدلي تفاعلي[٧]، ولا يعني اتصال الرؤية بالأسطورة الخيال الجامح fantasy، فعلى حين أن الخيال مهم في الانقطاع عن الأطر المرجعية الحالية، فإنه لا يقترب من رؤيـــة العالم التاريخية التي تشكل الإسلام، وبهذا المعنى فإن النموذج المعرفي الإرشـــادي الإسلامي كما فصله مختلف الكتاب المسلمين حيوي في العمل كنقطة انطـــلاق لعملية الرؤية.

"ثمة عشرة مفاهيم أربعة مفردة وثلاثة أزواج متعارضة: التوحيد والخلافـــة والعبادة والعلم والحلال والحرام والعدل والظلم والاستصلاح والضياع"[٨].

يضم التوحيد الوحدة الإسلامية الأوسع للفكر والفعل والقيم عبر الإنسانية والأشخاص والطبيعة والإله، وتؤكد الخلافة على أن الله تعالى مـــالك الأرض،

---

[٧] لمزيد من القراءة، انظر:

Robert Jungk and Norbert Muller, Future Workshops: How to Create Desirable Futures (London: Institute for Social Inventions, 1987).

انظر أيضـــاً:

Jim Dator, "From Future Workshops to Envisioning Alternative Futures", Futures Research Quarterly (Winter 1993).

[٨] حدد علماء مسلمون في ندوة ستوكهولم عام ١٩٨١م قائمة من المفاهيم الأساسية التي تعرّف الرؤيـــة الإسلامية.

انظر:

Ziauddin Sardar, Islamic Science: The Way Ahead (booklet) (Islamabad: OIC/COMSTECH, 1995), 39.

ويعمل البشر خلفاء ومؤتمنين لرعاية الأرض لإفسادها، ويمثل العدل هدف الرؤية الإسلامية للعالم، ويقوم على حاجات الناس (الاستصلاح)، وتعد العبادة بداية وخطوة ضرورية للوصول إلى هذه الأهداف، وينتج العلم أو معرفة الذات والآخر والطبيعة عن التفكير العميق سواء بالملاحظة الداخلية أو الخارجية، وبعدها تكون تصرفات الأفراد حلالاً أو حراماً، ويتم في هذا الإطار ضياع الأفراد والإمكانات الجماعية والاستبداد أو تسلط القلة، أو فرد واحد على الكثرة، أو سلطة فكرانية (أيديولوجية) ضيقة الأفق على الوحدة في إطار التعددية التي يعضدها النموذج المعرفي الإرشادي الإسلامي.

ويصبح النموذج الإرشادي الإسلامي سياق الرؤية وسياق تأطير صورة المستقبل ضمن المثل العامة ويحدد بهذا محيط الرؤية، ليس ضمن أحداث تاريخية معينة (الثأر من فرد أو أمة أو حضارة) بل ضمن نسق المعنى الأوسع للحضارة موضع الاهتمام، وهي في حالتنا هذه الأمة الإسلامية (كجماعة تقوم على معنى ومقصد أكثر من كونها جماعة جغرافية أي كجماعة تفسيرية). والرؤية ضمن هذا السياق رؤية فعالة لأنها تلمس جوهر خبرة المسلمين، ولأنها ذات توجه مستقبلي فإنها تساعد في تجاوز تصنيفات الحاضر وبشكل خاص إطار حداثة الدولة / الأمة الذي يستكين فيه المسلمون.

وعلى حين يجري تأطير الرؤى غالباً بلغة شخصية أو تعد مجالاً للاّشعور، فإننا نستخدم هذا المصطلح بالمعنى الجماعي الأوسع أي رؤية جماعة أو أسطورة الجماعة عن المستقبل. إلا أن الرؤية تدور أيضاً حول الفعل، فقد تكلم عالم المستقبل والناشط روبرت جنجك "Robert Jungk" عن حضور منتدى "رؤية عام ألفين" حيث أكد المشاركون بحماس على "أن نعمل للحاضر وألا نقلق كثيرًا بصدد عام ألفين" وبعد ليلة من السهاد تفكيرًا في ذلك التداخل رد "جنجك" بأنه سيحور العبارة ويعلن "لأننا قلقون بصدد عام ألفين دعونا نفعل

شيئـــا الآن"[٩] فقد أصبح المستقبل قوة للدفع، فلأننا نهتم بأجيال المستقبل يجب أن نتحقق من أننا لا ندمر تراثنا الثقافي والبيئي[١٠].

وأصبح هذا هو مفتاح التفكير في الموضوع، فيجب أن يفكـــر البشـــر في المستقبل لتحويل الماضي والحاضر، فبدون التفكير في المستقبل سيبقى التـــاريخ مسيطرا والحاضر جائرا، فقد أصبح المستقبل الموضع الذي يسمح بـــالتحولات، ويتطلب القيام بهذا الخيال، إلا أن الخيال ليس كله سواء، فقد افترض "جنجك" ثلاثة أنماط منه: الأول الخيال المنطقي وهو التقديـــر الاســـتقرائي للاتجاهـــات الجارية لإظهار منافاتها للمنطق وبذلك يسمح ببزوغ الأفكار الجديدة، فمـــن خلال التركيز على منحنيات النمو المتضاعفة (الأسية) بدلا مـــن المنحنيـــات الخطية أو التي تأخذ شكل منحنى حرف s يمكن بســـهولة رؤيـــة مشـــاكل الاتجاهات الجارية. أما النوع الثاني فهو الخيال النقدي فالبحث النقدي يتطلـــب منا أن نسبر الأغوار العميقة بحثـــا عن نواحي الضعـــف البنيويـــة في حـــال الأوضاع القائمة، ومن ثم خلق السياق لمستقبلات بديلة وهذا أعمق من النقـــد التقليدي الذي يكشف فقط عن الخطأ، فالخيال النقدي يظهر ما هـــو خطـــأ وخصائص المستقبلات المرغوبة.

المدخل الثالث الخيال الخلاق

"لا يكتفي الخيال الخلاق بمد أو مزاوجة أو نفي الاتجاهات القائمة حاليـــا، بل يحاول من خلال الانقطاع عن الأنساق والأنساق المضادة القائمة أن يشكل قضية جديدة بشكل كامل، وأن ينقطع بشكل جذري عن المفاهيم الســـائدة، فحيثما ومتى ما ظهر الخيال الخلاق فإنه يمثل ميلادا لعصر جديد وعـــادة مـــا

٩

Robert Jungk, "Three Modes of Future Thinking", in Hawaii 2000, eds. George Chaplin and Glenn Paige (Honolulu: University of Hawaii press), 103.

١٠ انظر:

Tac-Chan Kim and James Dator, eds., Creating a New History for Future Generations (Kyoto: Institute for the Integrated Study of Future Generations, 1994).

ينشئ حالة عقلية جديدة ترقى عن المناظرات التي تمثل سمات وجزءاً لا ينفصم عن الأزمان التي خلفتها وراءها"[١١].

إن الخيال الخلاق قفزة للوعي ووثبة إيمان بمصطلح "كير كجارد"، والتحدي أمام تخيل المستقبل ليس القيام بمثل هذه القفزة فقط، بل في تبيين كيفية إيصال هذا المستقبل المحتمل والمرغوب للآخرين أيضاً وهذا أمر إشكالي للعديد من الأسباب: أولاً أنه في إطار الفكر الغربي الذي تغلب عليه النزعة الاقتصادية الجامدة يعد الخيال فكرًا غير استراتيجي ولا رياضي، وبغض النظر عن معتقداتنا الدينية فإن أغلبنا يعيش فضاءات فكرية منعزلة ومنفصلة ومتشظية، والخيال جميل للأطفال ولكنه ليس للبالغين، والعمل الحقيقي هو في مراكمة رأس المال والسلطة أو المعرفة الفنية، وعادة ما يحاجج بعضهم بأن الرؤية إنما هي للمستغرقين في أحلام اليقظة.

ثانياً يتصل التفكير الاقتصادي بالتفكير بالعلاقات الدولية، في هذا النموذج يدور الواقع حول الدوافع المخفاة والأمن والعدو، فالذات والأمة لا تتحددان بالجنس أو اللغة أو الإقليم بل بألا تكون عدواً، فنحن ما نكرهه. ويحاجج الفكر الاستراتيجي – مستعيرًا أفكار الاقتصاد التقليدي المجدد – بأننا لسنا إلا أفرادًا أنانيين مهتمين بذواتنا. وتصبح الفردية المنهجية هي علم الاجتماع الموجه، وينظر للأمم تبعًا – لهوبز – كأفراد يعيشون في عالم فوضوي، وضمن هذه الرؤية لا يمكن التفكير في رؤى أو تصورات – لنقل مثلاً، لمجتمع عالمي إسلامي يمنح جوازات السفر – تحدد هوية ما بعد قومية لا تحتمل سيادة رأس المال والعمل، أو توضع هذه التصورات في سياق تاريخي للإمبراطورية والعلاقات الرأسية القوية بين المركز الحاكم والهامش المستعمر، أما وجود أمة عالمية بديلة تترابط أفقياً من خلال التجارة والاستثمار المباشر المتبادل والتبادل الثقافي والسلالي والسياحة ووجود سياق لحوار عميق فيبدو خيالاً جامحًا، ليس لأنه مستحيل بل لأن الرؤية الحديثة للعالم تبطل وتنفي

١١

Robert Jungk, "three Modes of Future Thinking", 116.

شرعية أية استكشافات بديلة للهوية[١٢]. إن الأمم واقع، فهي تمنح جوازات السفر وتنظم العمالة وإلى وقت قريب نظمت رأس المال والتلوث والهوية (بطبيعة الحال جعلت العولمة الدولة القومية إشكالية إن لم تكن عرضتها كلية للخطر). يقوم النموذج المؤسس لرؤية العالم الاستراتيجية على إدراك الصراع مع الآخرين وينتج عنه الحاجة للسيطرة والدخول في نضال دارويني من أجل البقاء.

وقد تعرض الإسلام لمثل ذلك بما أدى إلى توترات بالغة بين الدولة والفرد (بالنظر للأفراد الذين يعتنقون رؤية غير دولانية للإسلام على أنهم تهديد) وبين الدول (مع ادعاء كل دولة ارتداءها عباءة الإسلام كما تحدده السلطة، وإلى حد ما الإخلاص للنموذج الإسلامي)، وكانت النتيجة إسلاماً غيرَ عالمي مصطبغاً بالطابع القومي، وذا طابع دفاعي إزاء الغرب ومتفتت وعدائي تجاه شعوبه، وكانت الكلفة الأغلى خسارة مقولة المجتمع العالمي، أي الأمة نفسها ناهيك عن المستقبل. إن تصور إسلام عالمي غير محدود بأمة أو قائد ولا يقويه وجود عدو أو خوف الآخرين هو البداية الأولى، ومهمة رؤية أمةالمستقبل الإسلامية هي عكس لهذه العملية وإبداع لرؤية تدفع الحضارة قدماً ولا تجر الناس للركون للجبن والخوف، وكما حاجج فرد بولاك "Fred Polak" في كتاب "صورة المستقبل"[١٣] فإن الحضارات التي تملك صورة للمستقبل متفائلة بشكل أساس بصدد طبيعة البشر، وإيجابية إزاء ما يمكن أن يصنعوه هي

---

[١٢] انظر ضمن كتب أخرى:

R.B.J. Walker and Saul Mendlovitz, Contending Sovereignties (Boulder: Lyne Rienner publishers, 1990): James Der Derian and Michael Shapiro, International and Intertextual Relations: Postmodern Readings of World Politics (Toronto: Lexington Books, 1989); Zia Sardar, "Islamic State in a Post-industrial Age", in Islamic Futures: The Shape of Ideas to Come (London: Mansell, 1985).

من أجل قراءة أخرى توضح أن الإسلام يستطيع أن يتعايش ضمن مجموعة مختلفة الأوساط السياسية. انظر:

El-Affendi, Who Needs an Islamic State? (London: Grey Seal, 1992).

[١٣]

Fred Polak, The Image of the Future, trans. Elise Boulding (San Francisco; Jossey-Bass, 1973).

حضارات صاعدة، أما تلك التي لا تملك أي صورة للمستقبل وبالأساس متشائمة إزاء طبيعة البشر، وسلبية إزاء إمكانية التغيير عبر الزمن فهي في هبوط وتدهور، وإذا ما أضفنا نظرية "بولاك" إلى المفهوم الخلدوني للقوة يصبح لدينا تاريخٌ كليٌّ macrohistory ومستقبلٌ كليٌّ ثريٌّ[١٤].

فعند ابن خلدون تصبح حياة من هم خارج القوة الرسمية (أو ما يدعوها السلطة الملكية) أشد صعوبة وعرضة للتحديات، ومن خلال النضال يكتسب هؤلاء وحدة جماعية وطموحاً إلى قوة الدولة، ولكن بمجرد تحقيق هذا الطموح، وخلال أربعة أجيال، تختفي الرؤية ويفقدون الوحدة، وفي الوقت الذي تتدهور القوة تبدأ قوى جديدة برؤية / وحدة أقوى في تولي مقاليد القيادة[١٥].

وهكذا تواجهنا مهمة تاريخية لها مطالبها، فتخيل مستقبلات الأمة أمر إشكالي بسبب سيطرة:

(١) التفكير ذي النزعة الاقتصادية الجامدة.

(٢) نموذج الواقعية الجديدة الإرشادي.

(٣) تدريبنا الصارم في التاريخ والحقول العلمية التقليدية.

(٤) خوفنا من أن نصبح سخفاء أو مثيرين للجدل.

إلا أن ذلك ممكن! ويجب للقيام به أن تفي الرؤية بالمعايير التالية:

١ - يجب أن تكون لها شرعية وسط جماعتها التفسيرية؛ أي أنها لا يمكن أن تكون مجرد خيال فرد جامح، بل يجب أن تحوز اتفاق أعضائها.

٢ - يجب أن تمس الطبقة المادية للواقع (العالم المادي للسلع والخدمات).

١٤

Ibn Khaldun, The Muqaddimah: An introduction to History, trans. Franz Rosenthal) Princeton: Princeton University Press, 1967).

١٥

Sohail Inayatullah, "Ibn Khaldun: the Strengtheing and Weakening of Asabiya", in Macrohistory and Macrohistorians; Perspectives on Individual, Social, and Civilizational Change, eds. Johan Galtung and Sohail Inayatullah (Westport, Ct. and London: Preaeger, 1997), 25-31.

٣ - أن تكون ذات مغزى للرؤى التقليدية للرشادة حتى وهي تصارعها.

٤ - يجب أن تضفي النبالة على الشعب.

٥ - يجب ألا تكون بعيدة جدًا في أعماق المستقبل (ومن ثم تبدو مدينة فاضلة (يوتوبيا) لا يمكن الوصول إليها، وألا تكون قريبة الأمد جدًا (ومن ثم مفعمة بسياسات الأنا العاطفية والنزعة الكلبية تجاه التغير التحويلي)*.

٦ - يجب أن تعيد تعريف دور القيادة والطليعة وختامًا يجب أن تكون أسطورية[١٦].

وكما ذكرنا آنفًا يجب أن تمس الرؤية مستوى اللاوعي العميق، والرمزي غالبًا، لما يعنيه كوننا بشرًا ودورنا كبشر - وكمسلمين - في التاريخ والمستقبل. يجب أن تمكن الرؤية الناجحة كل واحد منا من أن يحول ذاته ومجتمعه بشكل غير محدود ويمكن أن تساعد نماذج الكمبيوتر التفكير الذي لـه طابع الرؤية بجعله أكثرَ صرامةً واستكشافَ التداعيات غير المتوقعة واختبار الافتراضات.

نحو مشروع إسلامي للدراسات المستقبلية:

ولكن لماذا الدراسات المستقبلية؟ وما قيمة حقل الدراسات المستقبلية في استكشاف أمة الأجيال المقبلة؟

أولاً: تأخذ الدراسات المستقبلية الزمن بصورة جدية، فعادةً ما يعد الزمن متغيرًا مستقلاً ولكن الدراسات المستقبلية بدلاً من ذلك تنظر للزمن على أنه متغير تابع للخبرة الإنسانية والحضارية[١٧]، ويرجع السبب في ضيق المسلمين

* الكلبية مذهب فلسفي يرى سعادة الإنسان في الحصول على اللذة وتوقي الألم في الحاضر المعاش "المترحم".

[١٦] Sohail Inayatullah and Paul Wildman, Futures Studies: Methods, Emerging Issues and Civilizational Visions (Brisbane: Prosperity Press, and London: Adamantine, 1998).

[١٧] لاستعراض أوسع، انظر:

Sohail Inayatullah, "Whom am I to When am I?", Futures 25, no. 3 (April 1993): 235-254.

بالحداثة جزئيـًا إلى أن الزمن كان في الغالب أكثر تنوعـًا، فكـان التقـويم الهجري مهمـًا بل كان أسلوبـًا لتسجيل الواقع أهم من التقويم الميـلادي، علاوة على ذلك كان التوقيت القمري محوريـًا بالدرجة نفسـها، ومـن منظور إسلامي فإن تفكير أجيال المستقبل على درجـة الأهميـة نفسـها، وتحاول بحوث الأجيال المقبلة صياغة مفاهيم إرثية للزمنية محاججة بأنه بـدلاً من التنبؤ لعقود قادمة أو تزكية لغة دراسات القرن الحادي والعشرين يجـب أن نأخذ بشكل جاد في الاعتبار المستقبل الذي سيشكله أبناء أبنائنا وسـبعة أجيال قادمة، ويمكن أن تصبح هذه الإمكانية أمورًا جارية بمجرد أن نـأخذ المستقبل والزمانية كإشكالية لا كمعطي. وكما تعلمنا من ضياء سـردار في كتبه المتعددة عن المستقبلات الإسلامية[١٨] ومن منـور أنيـس[١٩] وبـارفيز منصور[٢٠] وأنور إبراهيم[٢١] وسيد حسين نصر[٢٢] وميريل دافـيز "Merryl

---

[١٨] على سبيل المثال، انظر:

Zia Sardar, The Future of Muslim Civilization (London: Groom Helm, 1979); Islamic Futures: The Shape of Ideas to Come (London: Mansell, 1985); Information and the Muslim World: A strategy for the 21st Century (London: Mansell, 1988); how Ed Know: Ilm and the Revival of Knowledge (London: Grey Seal, 1991); and Muhammad for Beginners (Cambridge: Icon Books, 1994) (with Zafar Abbas Malik).

[١٩] انظر كذلك:

Munawar Anees, "Epistemology in the Robotic Culture", in The Early Crescent: The Future of Knowledge and the Environment in Islam, ed. Zia Sardar (London and New York: Mansell, 1989), 92-124; and Cristian-Muslim Relations: Yesterday, Today, Tomorrow (London: Grey Seal, 1991) (with Syed Abedin and Zia Sardar). Anees is the editor of the influential Periodica Islamica.

[٢٠] انظر مثلاً:

Parvez Mansoor, "The Crisis of Muslim Thought and the Future of the Ummah" in the Early Crescent: The Future of Knowledge and the Environment in Islam, ed. Zia Sardar (London and New York: Mansell, 1989), 57-92, and "The Future of Muslim Politcs" Futures 23, no. 3 (April 1991): 289-301.

[٢١] انظر:

Anwar Ibahim, The Asian Renaissance (Singapore: Time Books, 1996).

[٢٢] انظر ضمن كتب أخرى:

Seyyed Hossein Nasr, The Need for a Sacred Science (Albany: University of New York Press, 1993).

"Davies"[٢٣] ومحمد أكرم خان[٢٤] فإن الإسلام رؤية للعالم مستقبلية التوجه، وهي كذلك لأننا نعرف من حياة النبي ﷺ أن الرؤية والدعوة أصبحتا سلسلة من الخطط الاستراتيجية لتحقيق هذه الرؤية، فقد أوضحت حياة النبي ﷺ بشكل كامل القدرة الإنسانية على عقل الماضي والتعلم منه والبحث بشكل سليم - مستقبلي التوجه، حيث يعرض بديلاً للاشتراكية دولية التوجه والرأسمالية التي وصلت ذروة الجشع. وعلى حين يحاجج البعض بأن الإسلام ليس مستقبلي التوجه بالمعنى الزمني، لأن علاقة المسلم الأولية هي خضوعه للإله (فكما يقول البعض لم نهتم بالمستقبل لنثق فقط بالله) فإنه يجب فهم الإسلام ليس على أنه مجرد دين يوضح العلاقة بين الذات والإله فحسب بل على أنه حضارة تشير إلى كيفية معاملة كل فرد للآخر وللطبيعة وعمل الخير، فقضايا الاقتصاد والحكم غير منفكة عن الخطاب الديني، فالإسلام لا يدفع كل فرد ومجتمع لقياس حاضره على المستقبل المثالي، كما تمثل في حياة وتعاليم النبي ﷺ فقط، بل لديه القدرة على أن يصبح نموذجاً تخطيطياً للمستقبلات.

إن التزام الإسلام بمستقبل بديل لا يسقط التاريخ من الاعتبار، ويمكن استعادة نظام المدينة السياسي ونجاحات المسلمين الأخرى من نموذج الحداثة الإرشادي البالغ التقوس والانحناء، فيمكن استخدام التاريخ لصنع المستقبل، ويجب النظر إلى التاريخ كجزء من حيز تفسيري وكحيز للمستقبل، وهكذا لا يتوجب علينا الالتزام بأي صورة خطية للمستقبل، وبشكل أكثر تحديدًا بمقولة أن المستقبل غير الغربي سيتبع مستقبل الغرب فهناك طرق بديلة بعيدًا عن متوالية الإقطاع ثم الملكية والنزعة الانغلاقية التقليدية، ويحاجج البعض بأن الغرب، وهو في تعبه الأخير، يعاني أزمة رؤية عميقة ولا يمكن أن تأتي أية بدائل

---

٢٣ Merry Wyn Davies, Knowing One Another: Shaping an Islamic Anthropology (London: Mansell, 1987); and Merry Wyn Davies and Adnan Khalil Pasha, eds., Beyond Frontiers: Islam and Contemporary Needs (London: Mansell, 1989).

٢٤ انظر:
Muhammed Akram Khan, "The Future of Islamic Economics", Futures 23, no. 3 (April 1991): 248-61.

إلا من خارج الإمبراطورية من أولئك الذين لا يدينون بصور وأساطير القوة المتمركزة وحكم الفنيين[٢٥].

وفي الوقت نفسه فإن التاريخ الذي غالباً ما يكون مورداً قد يصبح لعنة[٢٦] فأغلب مواطني جنوب آسيا (أيضاً أغلب مواطني الأراضي التي تخلصت من الاستعمار) والمسلمون يعانون وطأة لعنات التاريخ من حيث إن الذاكرة التاريخية ومعارك معينة هي التي حددت تعريفهم لأنفسهم، ومع ذلك فقد أقام شتات سكان جنوب آسيا وتدفقات اللاجئين المسلمين وعمال المعرفة والسياح علاقة جديدة بمثال الوطن، فقل اعتبار الوطن مكاناً ثابتاً وفئة جغرافية معطاة للأبد، وقلّت قدرة جغرافية معينة على تحديد هوية الآسيويين الجنوبيين والمسلمين، وأصبح ما كان يعد أحداثاً قومية أسطورية (تقسيم - ثورات - معارك) أقل أهمية، وأصبحت اللاأحداث اتجاهاً إيجابياً يدفعنا خارج الذاكرة التاريخية والحالية وأصبح المستقبل مكاناً حقيقياً، وإذ إنه يمتلئ بالإمكانات فقد أصبح هذا المكان يعد وطناً.

الدراسات المستقبلية الحديثة:

كان للبشر في معظم الحضارات اهتمام عميق بما سيحدث لهم كأفراد وكجماعات، ومع ذلك لم يصبح المستقبل ضمن نطاق المناهج العلمية إلا مؤخراً، وأصبح التنبؤ الكمي غالباً أسلوب المخططين والاقتصاديين وعلماء الاجتماعيات بامتياز، ويكمن وراء ذلك منظور يرغب في جعل العالم أكثر استقراراً وفي أن يتحكم في المستقبل، والافتراض الكامن وراء التنبؤ أنه في

---

[٢٥] انظر:

Johan Galtung, Essays in Peace Research, vols. 1-6 (Copenhagen: Christian Ejlers, 1988) and Ashis Nandy, Traditions, Tyranny and Utopias (Delhi: Oxford University Press, 1987).

[٢٦] انظر:

S.P. Udayakumar, "Accursed Futures and Redemptive Fantasies", Department of Political Science, University of Hawaii, 1996, unpublished research paper.

انظر أيضاً:

"Challenging Curses and Accursed Futures", Futures Bulletin 22, no. 4 (December 1996): 1.

وجود معلومات أكثر و لاسيما معلومات ترد في الوقت المناسب يمكن للقادة والمديرين صنع قرارات أكثر حكمة. إن الحصول على معلومات أكثر أمرٌ مهم عامةً وفي الوقت الحالي خاصةً لأن معدل التغير التقني زاد بشكل مثير، فنحن نعيد صنع أنفسنا باستمرار، إلا أن الحاجة للمعلومات – كما كانت في الأزمان السابقة – يحتمها الخوف من المستقبل والشعور بالعجز إزاء قوى لا نستطيع فهمها وتبدو أكبر منا، وكان هذا أمرًا مأساوياً في العشرين عامًا الأخيرة خاصةً، لأن كل أزمة أصبحت أزمة عالمية، ويعود ذلك - جُزئيًا - إلى وسائل الإعلام الإخبارية الوطنية والعالمية، وأيضًا لأن القضايا الآن قضايا عالمية.

وقد نمت الدراسات المستقبلية في الآونة الأخيرة خاصةً، وأصبحت شبه شرعية، وبذلك تم تحديثها وتبناها مخططو المؤسسات ومعاهد السياسة ومكاتب التخطيط الحكومية وأصبحت الدراسات المستقبلية مرتبطة بالتخطيط القصير والطويل الأجل، إلا أن الاختلافات بين الدراسات المستقبلية والتخطيط لها دلالاتها[٢٧].

فأولاً الدراسات المستقبلية ذات توجه أطول مدى بكثير ومعنية بمئات الأعوام القادمة.

ثانيًا يلتزم التخطيط بمستقبل واحد معين، أما الدراسات المستقبلية فتصر على رؤية المستقبل تعدديًا ومفتوحًا، وفي هذا الصدد فإن كل رؤى الواقع في ما بعد الحداثة سليمة، وعلى حين أن نفع المستقبلات بالنسبة إلى المسلمين هو في الاحتفاظ بها مفتوحة فإن من المهم اختيار مستقبل معين؛ أي خلق أفق تخطيطي حول مستقبل معين.

---

[٢٧] لغرض مفصل، انظر:

Sohail Inayatullah, "An Introduction to Futures Studies: Alternative Global and South Asian Futures", Proceedings of the Pakistan Academy of Sciences 32, nos. 1-4 (1995): 95-104.

ثالثـًا على حين أن التخطيط غالبـًا ما يكون ذا توجه مـن القمـة إلى أسفل فإن الدراسات المستقبلية تفاعلية تتضمن تعدد المشاركين قدر الإمكان.

ورابعـًا الدراسات المستقبلية معنية بمسألة الأخلاقيات أي مـا يجـب أن يكون عليه المستقبل بدلاً من افتراض مستقبل غير ملتزم كمـا يغلـب علـى ممارسات التخطيط الطويل الأجل.

خامسـًا الدراسات المستقبلية معنيـة بالمجـهول والاتجاهـات الجامحـة والمستحيل ويحاول التخطيط تضييق المستقبل، أما الدراسات المستقبلية فتعمـل بشكل مستمر لفتح المستقبل وبذلك تسـعى الدراسـات المسـتقبلية لجعـل الافتراضات الأساسية إشكالية، وأخيرًا يُعَدُّ المستقبل متعدد المسـتويات: مـن ترديد الأحداث الجارية إلى الأسباب التي أحدثتها ورؤى العالم الكامنة تحـت عملية المعرفة والاكتشاف. إن الدراسات المستقبلية حساسة معرفيـًا ومفتوحـة للتفسيرات المتعددة للواقع وأقل ذرائعية من التخطيط الذي يسترشد بـأهداف الربح والكفاءة والقوة. وبينما نمت الدراسات المستقبلية بسـبب افـتراض أن تنبؤات أفضل ومعلومات أكثر ستؤدي إلى قرارات أفضل وصنع سياسة أفضل، نست هذه الرؤية أن السياسات عادة ما تصنع بغض النظر عن الحقائق فيجـري الوصول إلى القرارات أو يتم صنعها لأسباب سياسية أو لدواعي التمويـل أو نقص الإرادة المؤسسية. إن وضع قائمة بالمشاكل والمخاوف لن يقوم إلا بخلـق سياسات الخوف التي لا يتم فيها عمل شئ بدلاً من خلق بدائل حقيقية فيستمر الوضع الراهن، وكان هذا أحد انتقادات النماذج العالمية المتنوعة من حيث أنهـا كتقارير يوم الحساب تخلق الخوف لا التحول. إن تنبيه الآخرين ليس كافيـًا لأننا أصبحنا مخدرين بصناعة الأخبار العالمية فأصبحت الأخبار أقاويل عالميـة تصلح للإعلانات وليس للتغيير الاجتماعي والسياسي، وهذا أقل صحة علـى المستوى القومي حيث تؤدي المكانة والكبرياء والرغبة في إعادة الانتخـاب أو دولارات البنك الدولي والأمم المتحدة إلى التغيير كما تـدل الشـواهد مـن النجاحات التي توردها تقارير الأمم المتحدة للتنمية البشرية.

إلا أن الخوف هو الذي أدى إلى تطوير الدراسات المستقبلية التي تطـورت في الولايات المتحدة وأوروبة في الخمسينيات، ابتداءً، كأداة لكسـب مـيزة

عسكرية استراتيجية، وامتد نطاق هذه الدراسات من دراسة هرمان كاهن "Herman Kahn" "التفكير في ما لا يقبل التفكير فيه: مشاهد ما بعد الحرب النووية"[٢٨] إلى جهود "هارولد لنستون" للتنبؤ بمن سيهجم أولا (مشاهد الردع المستقبلية)[٢٩] وأصبح التنبؤ على الفور إشكاليا، ففي مواجهة مواقف لا تتوافر فيها أية حقائق - فعلى حين يمكننا تذكر الماضي فإننا لا نستطيع تذكر المستقبل - طور أولاف هلمر أسلوب دلفي[٣٠]، وفيه يتم التقاط المعلومات عن المستقبل عبر معرفة العلماء، ويتم ذلك خلال[٣١] عدة جولات يتعلم فيها الخبراء من بعضهم بعضا (تحديد مدى تباعدهم أو تقاربهم من الخبراء الآخرين) بشكل غفل من الاسم لئلا يتم بتحريف التنبؤات، وعبر جولات متكررة يتم تطبيع التنبؤات في النهاية حول نزعة مركزية. وسرعان ما أصبحت الدراسات المستقبلية شائعة في الوكالات الحكومية والشركات الكبرى وكان الهدف المخفي في الأول أن تبدو حديثة وأن يتم ترشيد صنع القرار وزيادة الميزانية، أما في الأخيرة فكان الاهتمام بتحقيق ميزة استراتيجية للمشروع.

وقد حاز هذا النمط الأخير من الدراسات المستقبلية شهرة عالمية خلال عصر النماذج العالمية في السبعينيات مثل نموذج "حدود النمو" حيث كانت سلسلة الاتجاهات التي تصنع المستقبل (السكان، الأراضي القابلة للزراعة، المخرجات الصناعية، التلوث) مترابطة ببعضها بعضا بشكل تفاعلي، وكما هو متوقع من سياسات الخوف كان الحل أن الحضارة كما نعرفها "نحن"

---

٢٨ Herman Kahn, Thinking the Unthinkable (New York: Horizon Press, 1962).

٢٩ Harold Linstone, "What I Have Learned: The Need for Multiple Perspectives", Futures Research Quarterly (Spring 1985): 47-61.

٣٠ انظر:
Wayne Boucher, ed., The Study of the Future: An Agenda for Research (Washington, DC: National Science Foundation, 1977).

٣١ من أجل استعراض أوسع لهذا، انظر:
Sohail Inayatullah, "Deconstructing and Reconstruction the Future", Futures 22, no. 2 (March 1990): 115-141; and Richard Slaughter, Recovering the Future (Clayton, Australia: Monash, 1985).

ستنهار ما لم تتم تغييرات درامية كان الهدف ليس كسب ميزة استراتيجية بل تغيير النسق (أو هكذا بدأ الأمر)، ومع ذلك حاججت انتقادات بأن السياسات العميقة للنسق (تاريخه الاستعماري والطبقي والحضاري والنوعي أي من حيث الانقسام لذكر وأنثى) لم يتم الاقتراب منها وكانت هذه دراسات مستقبلية فنية وتكنوقراطية تنبوئية التوجه بشكل أساسي، تختلف تماما عن الدراسات المستقبلية القائمة على الخيال التي دعا إليها جنجك "Jungk".

ثلاثة أنماط من الدراسات المستقبلية:

قمت في نموذجي للدراسات المستقبلية بتقسيم المداخل المعرفية للمستقبل إلى ثلاثة مجالات الأول تنبؤي والثاني ثقافي / تأويلي والثالث نقدي[٣٢] وسنستخدم هذا الإطار لاستكشاف أبعد لنماذج العالم المتنوعة.

يفترض في المدخل التنبؤي أن اللغة محايدة أي لا تسهم في تشكيل الواقع، فاللغة تصف الواقع فقط وتعمل كصلة خفية بين النظرية والبيانات، ويفترض التنبؤ أن الكون حتمي أي يمكن معرفة المستقبل. ويمتاز الخبراء (المخططون ومحللو السياسات والمستقبليون) والاقتصاديون والفلكيون بهذه الرؤية ويصبح المستقبل موقعا للخبرة الفنية ومكانا للاستعمار. إن التنبؤ الخطي هو الأسلوب الأكثر استخداما وتستخدم المشاهد المستقبلية (السيناريوهات) كانحرافات ثانوية عن القاعدة بشكل أكثر بدلا من رؤى العالم البديلة، ويستخدم أكثر النماذج العالمية، سواء كانت "حدود النمو" أو "البشرية عند منعطف" أو النماذج الأخرى هذا المدخل، وتأخذ بالرؤية الحضارية الغربية للواقع وإن أكدت أنها عالمية، وإذ هي مجدبة وفقيرة حضاريا فإنها لا تسأل ما الفئات التي تستخدمها الحضارات الأخرى لبناء مستقبلاتها، وعادة ما ينظر للسكان - على سبيل المثال - على أنهم عنصر سلبي لا أساس، وهذا عند المسلمين وغيرهم سخف مناف للعقل، فالأطفال مورد أكثر أهمية، وزيادة

٣٢

A. Herrera, Catastrophe or a New Society (Ottawa, IDRC "Bariloche Project", 1976).

السكان الفائقة عرض لعدم الكفاءة وعدم المساواة الأعمق على المستوى العالمي والإقليمي والقومي والنوعي (ذكر وأنثى).

ومع ذلك فإن ما ينفعنا في النماذج التنبؤية هو استخدامها في الأغلب لأفق زمني طويل المدى (مائة عام في "حدود النمو" و"البشرية عند منعطف"). وقد تجنبت أغلب النماذج في التسعينيات المستقبل مخافة النقد وفهما أن المستقبل حيز مفتوح وليس مغلقا، إلا أن نموذج "حدود النمو" وغيره من النماذج تخدم بمدها أفقنا الزمني غرضا مهما، كما تقوم بدور مهم في التأثير على كيفية رؤية صناع القرار للمستقبل وتقوم من خلال التسويق الشخصي والعام للمعلومات بتغيير قائمة الاهتمامات العالمية.

إن العالم الإسلامي في أشد الحاجة لنموذج عالمي كهذا، ولكنه يقوم على التصور الإسلامي للمجتمع، وبتعميم هذا النموذج عالميا يمكن أن يقوم بدور عظيم في شرعنة رؤية المستقبل من المنظور الإسلامي، وسيلقى تحديد أفق طويل المدى ولو تجاوز المائة عام ترحيبا، وسيدفع الفنيين المسلمين خارج حاضر الدولة القومية وإلى المستقبلات المعروضة. وكما قد يتصور البعض، يفتقد المدخل التنبؤي الصارم الكثير في تفكيره بصدد المستقبل فهو مدخل تكنوقراطي مجدب حضاريا ويتجنب قضايا القيم، وهو مدخل غير مناسب من الرؤية الإسلامية للعالم حيث تصل النزعة الكلية وإدماج القيم في العالم إلى الذروة.

إلا أن ثمة مداخل أخرى للدراسات المستقبلية، فالهدف في المدخل الثقافي ليس التنبؤ، بل نفاذ البصيرة، وتعد الحقيقة نسبية إلى الثقافة واللغة اللتين تشتركان بشكل حميم في صنع الواقع، ومن خلال مقارنة وبحث صور المستقبل المختلفة القومية والنوعية والعرقية نكتسب بصيرة نافذة إلى الوضع الإنساني. إن هذا النمط من الدراسات المستقبلية أقل فنية وتعد الأساطير فيها على مستوى من الأهمية مساو للرياضيات والتعلم من كل نموذج، في سياق البحث عن حكايات عالمية تحقق القيم الإنسانية الأساسية، هو المهمة المحورية لهذا المدخل. وعلى حين تشغل الرؤى مرحلة المركز في هذه الرؤية التفسيرية فإن دور البنى مهم أيضا سواء كانت الطبقة أو النوع أو فئات العلاقات الاجتماعية

الأخرى. نادرا ما يمارس التخطيط وتحليل السياسة شكلا تفسيريا ثقافيا لوضع الأهداف أو تحليل الآثار، وهذه الرؤية مهمة - على سبيل المثال- في مقارنة الرؤى الإسلامية والصينية للمستقبل أو مقارنة الافتراضات الكامنة خلف النماذج وهي مفيدة أيضا في السؤال عما إذا كانت رؤية المرء للمستقبل يمكن أن تصبح عالمية، وأن يتم تصديرها أم أن ذلك اعتداء على الآخرين، وهكذا فإن دور الآخر محوري، وأغلب النماذج العالمية غير قادرة على التعامل مع هذا المستوى من الواقع لأن كل العوامل يجب أن تكون مترابطة فيما بينها بشكل كمي، ومع ذلك فإن الإطار الثقافي له أيضا حدوده؛ غالبا ما يكون كيفيا ومن ثم ينقصه التحديد.

لا تهدف الدراسات المستقبلية في المدخل النقدي للتنبؤ أو المقارنة، بل لجعل وحدات التحليل إشكالية وجعل المستقبل غير محدد بتصور معين، فلا نهتم بتوقعات عدد السكان ولكن بفئة السكان التي يتم إقرارها في الخطاب، فعلى سبيل المثال قد نتساءل لماذا السكان بدلا من الجماعة أو الشعب وهل المفاهيم الإسلامية للجماعة غير مناسبة، ولماذا السكان هم الذين تجري التوقعات بشأنهم بأية حال؟ ولماذا معدلات النمو أهم من الوحدة أو العصبية (استحضارا لفكر ابن خلدون)، إن دور الدولة وغيرها من أشكال القوة في خلق خطابات سلطوية محوري لفهم كيف يصبح مستقبل معين مهيمنا. وتؤكد الدراسات المستقبلية أن الحاضر هش وأنه مجرد انتصار لخطاب معين على ما عداه، وهدف البحث النقدي قلقلة علاقات القوة الحالية بجعل تصنيفاتها إشكالية وإثارة المشاهد المستقبلية والمواضع الأخرى للمستقبل، ومن خلال هذا التباعد يصبح الحاضر أقل جمودا، بل وأفضل وتصبح فضاءات الواقع مفتوحة للتأويلات المختلفة، وتخف السيطرة المحكمة لليبرالية الجديدة ويتسع المدخل التنبوئي ويصبح الجديد ممكنا. إن اللغة مشكلة للواقع وليست رمزية، وإذا كانت البنى نافعة فإنها لا يجري النظر إليها على أنها عالمية شاملة بل على أنها مخصوصة بتاريخ وقناعة معرفية معينة (حدود المعرفة التي تؤطر تعرفنا على الواقع). إن بحث المستقبلات الحضارية مفهوم محوري للمدخل النقدي الثقافي، فيجعل

البحث الحضاري التصنيفات الحالية إشكالية لأنها عادة ما تقوم على رؤية الحضارة المسيطرة (في حالتنا هذه الغرب) ويعلمنا أن وراء الواقع الاختباري (الإمبريقي) واقعا ثقافيا تكمن خلفه رؤية للعالم، وإذا كان للنماذج العالمية أن تصبح مجدية لنطاق واسع من المراكز الفكرية النخبوية فإنها يجب أن تكون قادرة على تجسير هذه التخوم الحضارية، وعادة لا تقوم بهذا لأنها تشيد العلم كعلم خلو من القيم ومحايد، وتراه كمنتج عالمي وليس حضاريا، ومشروع أسلمة المعرفة في هذا السياق حيوي لإنقاذ المعرفة من استحواذ رؤية معينة للعالم عليها، فالعلم والنماذج على وجه الخصوص يمكن أن تكون بذلك متنوعة حضاريا.

كان نموذج باريلوش "Bariloche" الأمريكي اللاتيني من هذا القبيل[٣٣]؛ فباهتمامه إلى حد بعيد بالعدل الاجتماعي والمساواة أكثر من قضايا النمو أظهر النموذج أن تلبية الحاجات الأساسية مفتاح التنمية ومع ذلك رفضه نادي روما.

وهكذا يجب على المرء – من الناحية المثالية – أن يستخدم هذه الأنماط الثلاثة من الدراسات المستقبلية؛ فإذا قام المرء بتوقعات عن السكان – على سبيل المثال – فإن عليه بعدها أن يسأل ما مداخل الحضارات المختلفة لقضية السكان، وختاما عليه أن يفكك فكرة السكان نفسها وتعريفها، مثلا ليس باعتبارها مشكلة بيئية في العالم الثالث فقط بل بربطها أيضا بأنماط استهلاك العالم الأول ويجب دفع العلم الاختباري في سياق علم الحضارة التي بزغ منها ثم تقويضه لإظهار ما يفتقده مدخل معين وما يسكت عنه.

خرائط أخرى للدراسات المستقبلية:

إذا كان هذا منظوري الخاص فإن ثمة منظورات أخرى بالقدر نفسه من الأهمية إن لم تكن أهم منها منظور "هارولد لنستون" الأقل تفلسفا وتوجد عنده ثلاثة ميادين للدراسات المستقبلية[٣٤]، الأول في وهدفه حل المشكلات

٣٣

Harold Linstone, "What I Have Learned: The Need for Multiple Perspectives", 47-61.

٣٤

ودراسة المنتج وتصميمه والاهتمام الرئيس توقع تقنيات جديدة واستخدام نماذج المحاكاة للتنبؤ بالمستقبل ويشكل ترابط العلم والتقنية هذا المنظور ويعطيه جوهره. الميدان الثاني تنظيمي وقضايا البيروقراطية والتغير التدريجي وتحليل سياسة الحكومة والأعمال التجارية محورية في هذا المنظور. والميدان الثالث شخصي حيث تستخدم المستقبلات لفهم عالمنا الداخلي فهما أفضل وهنا الاستشرافية Visioning والإبداع القصصي أهم.

وباستخدام هذا المدخل الثلاثي طبق ميسيني "Masini" و جيلوالد "Gillwald"[٣٥] هذا المنظور على المستقبلات في أوروبة وغيرها محاججين بأن الولايات المتحدة الأمريكية بدأت بتوجه تقني (فني) (التنبؤ التقني في بيئات الأعمال التجارية والعسكرية)، وأن أوروبا بدأت بالشخصي (فركزت على الرؤية والتحول الاجتماعي) وكلاهما انتقل إلى المستقبلات التنظيمية.

إلا أن ضياء سردار هو الذي طبق هذا النموذج تاريخيا وطور أساسا نظريا لهذا التصنيف للدراسات المستقبلية وحاجج سردار في كتابه "استعمار المستقبل"[٣٦] بأن دراسة المستقبل تبعت خطى مسيرة الاستشراق الحثيثة، فقد أصبحت الدراسات المستقبلية تسيطر عليها النزعة الغربية في ظل قيام مصدر التطور على علاقة الغرب بما عداه، أما المصادر والرؤى غير الغربية فلا تستخدم إلا حين تناسب رؤية الكون الغربية بشكل واف، إما بموافقتها وإما بمعارضتها من منطلق الولاء لها، ويرى "سردار" أن الدراسات المستقبلية ركزت على الاهتمامات العسكرية والتجارية كأسلوب للتعامل مع كل من تهديد الشيوعية

Elconora Masini and Karin Gillwald, "On Futures Studies and Their Social Context with Particular Focus on West Germany", Technological Forecasting and Social Change 38 (1990): 187-199.

٣٥

Zia Sardar, "Colonizing the Future: the "Other" Dimension of Futures Studies", Futures 25, no. 2 (March 1993): 179-187.

٣٦ انظر:

Zia Sardar, "The Problem", Seminar 460 (December 1997): 12-18.

انظر أيضا:

Vinay Lal, "The Future of Knowledge", Seminar 460 (December 1997): 25-30.

(كمستقبل محتمل للعالم الثالث) وقومية العالم الثالث فقد نمت الدراسات المستقبلية بشكل طبيعي من المركب الصناعي العسكري الأمريكي. وبدءا من هذه المرحلة أخذت الدراسات المستقبلية بعدا شخصيا، إذ أصبحت قضايا الذات والبيئة والغرض محورية للغرب بمجرد قيام حركات البيئة والسلام والمرأة بها، إلا أن نماذج الروحانيات كانت صورة مشوهة للروحانية غير الغربية، وقام الغرب هروبا من نزعته الصناعية بإسقاط خوائه على العالم غير الغربي وعالمه ما قبل الحديث، وتطورت الدراسات المستقبلية في مرحلتها الحالية متوافقة مع الرؤى التنظيمية وفي ظل حدود حاسمة للحقول العلمية، وحاجج سردار بأنه جرى تشجيع الأطر الغربية للدراسات المستقبلية - شأن غيرها من العقول العلمية - على إقصاء المستقبليين الآخرين والأشكال الأخرى من الدراسات المستقبلية. إن ما نحتاجه هو التخلص من استعمار الدراسات المستقبلية، حيث تنشئ الحضارات المختلفة أطر وأنماط مستقبلاتها ودراساتها المستقبلية[٣٧]. وعلى الأمة الإسلامية والسانغا البوذية والساماج التنترية (حركة الشعب) والشعوب المحلية أن تتخيل مستقبلها الخاص لمواجهة المناهج والاتجاهات والرؤى الحالية التي تصنع لهم مستقبلا أحاديا. وهكذا أضاف سردار إلى نموذج ميسيني/جيلوالد "Masini/Gillwald" جدل الاستعمار والتحرر من الاستعمار.

ثمة تفرقة مهمة بين التنبؤ وعملية الرؤية. ونادى "روى أمارا" من معهد المستقبل وأحد قادة الحقل في السبعينيات بمعيار ثلاثي: المحتمل والمفضل والممكن وأضاف "كلمنت بزولد" من معهد المستقبلات البديلة إلى هذا المدخل "الأقرب للوقوع"[٣٨]. أما الممكن فهو ما قد يحدث وهو الحدود القصوى لنطاق الإمكانات الخلاقة، وينشغل الأفراد بهذا المدخل. والأقرب للوقوع فئة فرعية

---

[٣٧] لاستعراض أشمل، انظر:

Roy Amara, "The Futures Field", The Futurist 15, nos. 1,2 and 3 (February, April and June, 1981).

[٣٨]

Clement Bezold and Trevor Hancock, "An Overview of the Health Futures Field", (Washington, DC: Institute for Alternative Futures, 1993).

منه وهو ما يمكن أن يحدث باعتبار البنى المتنوعة وحدود الإنسانية وقوانين العلم والطبيعة. والمحتمل هو الذي يحتمل وقوعه باعتبار الاتجاهات التاريخية المتنوعة. والمحتمل تحليلي يمكن إعادة إنتاجه وعادة ما تقوم عليه فرق مراكز البحث، ويقترن المفضل بالقيم وهو معياري تشاركي، ويتصل بما نوده، والممكن والمفضل هما الأقل قابلية للتكميم والمحتمل والأقرب للوقوع هما الأكثر تكميما.

وقد وضع ريتشارد سلوتر "Richard Slaughter" الدراسات المستقبلية ضمن خريطة رأسية، فعنده ثلاث فئات رئيسة على هذا المحور الرأسي: الأولى أن الدراسات المستقبلية تعني بالتنبؤ الاقتصادي والفني وتحليل النظم (النمذجة العالمية) وعلم الإدارة، الثانية الدراسات المستقبلية معنية بكتابة التبعات (المشاهد) المستقبلية للأحداث والرؤية ونقد الأعمال المنشورة في الحقل، والثالثة أن حركة المستقبلات معنية بالانتظام في شبكات والتمكين النفسي من خلال علم نفس عبر الأشخاص إنساني[٣٩].

إن ما تفتقده نماذج "أمارا" وغيرها واضح: دراسات مستقبلية حضارية، وتخيل المستقبل من مقولات معرفية مختلفة، فعلى سبيل المثال يعبر عن الاهتمام بالمستقبل بشكل مختلف في الحضارات المتنوعة فالمستقبليات البوذية لها مبادئ واضحة جدا وهرم على مستوى واحد والمستوى الآخر أكثر اهتماما بقضايا الحياة الماضية والحياة المستقبلية أي بالمقدس، أما المستقبليات الإسلامية فهي أكثر اهتماما بتخيل المجتمعات المسلمة المستقبلية التي تقوم على مشروع أسلمة المعرفة أو تتساءل عن أي أنماط التنمية الاقتصادية ستتبناه هذه المجتمعات إذا ما انتظمت حول المفاهيم الإسلامية المقررة كالربا والزكاة، كما أنها معنية أيضا بالتوجهات المستقبلية للمذاهب الإسلامية المختلفة متساءلة عن كيفية اختلافها في توجهاتها نحو الزمن.

٣٩

Richard Slaughter, Futures Concepts and Powerful Ideas (Melbourne: Future Study Center, 1991), 7.

النماذج العالمية نمط معين من الدراسات المستقبلية يقوم على تحليل النظم وقد ظهرت خلال وقت معين: خلال صعود الحركة البيئية وبداية العولمة والخوف من النمو الاقتصادي الذي لا ينتهي والاهتمام بالآثار السلبية للتقنية، كما يجب النظر إلى هذه النماذج كجزء من نزعة حكم الفنيين، وغالبا ما تكون الحلول التي يضعها القائمون بهذه النماذج من قبيل الحلول التي تركز على الدولة والحكومة، ونادرا ما ينظر للمجتمع المدني كمتغير مستقل جدير بصنع المستقبلات[٤٠]، فهو متغير ساكن والنماذج العالمية أيضا غربية التوجه بشكل واسع، فأمريكا اللاتينية فقط هي التي صنعت نموذجا على أساس غير غربي، وسنراجع الآن بشكل موجز النماذج المتنوعة وننتقل بعدها إلى مشاهد المستقبل.

مراجعة النماذج:

من الواضح أن نموذج نادي روما "حدود النمو" أكثر النماذج أهمية ودلالة، وقد كان نموذجا لنظم مجمعة بشكل غير متقن لسكان العالم والتصنيع والتلوث وإنتاج الغذاء واستنفاد الموارد، وكان تفرد هذا النموذج في أن هذه المتغيرات كانت كمية، وهو أمر جديد تماما، كما تميز أيضا بنقده للنمو، وألهمت دعوته لوجود حدود البيئيين وغيرهم ممن أحسوا بأن الحداثة اشتطت بعيدا وأخافت الصناعيين، إلا أن النموذج لم يفرق بين المناطق، وقد عالج نموذج "البشرية عند منعطف" الأكثر دقة الطبيعة العالمية المفرطة لنموذج "حدود النمو" حيث استخدم النماذج الإقليمية وأكثر من مائة ألف معادلة لمحاكاة الوضع الإنساني أو الإشكاليات العالمية، وكانت نتائجه الختامية الرئيسية أن الاتجاهات الجارية ستؤدي إلى انهيار اجتماعي (هبوط لا يمكن ضبطه في

---

[٤٠] انظر:

Johan Galtung, "Beyond Bruntland: Linking Global Problems and Local Solutions", (Department of Political Science, University of Hawaii) Research Paper, undated, 8 pages.

السكان والقدرة الصناعية غالبا بعد عام ٢٠١٥)، ولكن هذا التدهور لن يؤثر على العالم بأسره في الوقت نفسه بل سيصيب منطقة بعد أخرى).

إن دراسة نموذج "حدود النمو" (التي انطلق من قاعدتها النموذج) تفترض عدم حدوث أي تغير رئيسي في العلاقة المادية والاقتصادية والاجتماعية التي حكمت تاريخيا النظام العالمي[٤١] ومعنى ذلك إقرار مواقف التفاوت التاريخية، واستبعاد عوامل صعود الإسلام وحركات المرأة والتقنيات الجديدة وبناء على هذا النموذج كانت النتيجة الختامية أن الغذاء والمخرجات الصناعية والسكان ستنمو بشكل متضاعف إلى أن تجبر قاعدة الموارد التي تتقلص بسرعة النمو الصناعي على الإبطاء[٤٢] ومن حنكة هذا النموذج أنه تضمن الفترات الزمنية، فبسبب التأخيرات الطبيعية في النسق سيستمر كل من السكان والتلوث في الزيادة بعض الوقت بعد الوصول لذروة التصنيع، وسيوقف ارتفاع معدل الوفيات بسبب نقص الغذاء والخدمات الصحية ونمو السكان في النهاية[٤٣].

وعلى حين لا يمكن تخطئة نموذج "حدود النمو" بشكل كامل بسبب نموذجه القياسي العادي المستوي، فإن المشاهد المستقبلية البديلة التزمت بالقدر نفسه بالمتغيرات ذاتها، فعلى سبيل المثال، وفي اتجاه آخر تتضاعف موارد العالم إلا أن هذا يؤدي إلى مخرجات صناعية أكثر ومن ثم تلوث أكبر يؤدي لتدهور في إنتاج الغذاء وتدهور محتمل في الموارد ومن ثم وفاة الملايين، حتى لو تم التحكم في عدد السكان، فإنه هذا يحتاط لنفاد الطعام لمدة عقد أو عقدين فقط وستكون النتيجة هي نفسها، ومع عمل النموذج عادة ما تكون النتائج واحدة، وهكذا يعاد تمثيل السياسات نفسها في كل الأحيان بدلا من اختيار مشاهد مستقبلية بديلة على أساس نمذجة افتراضات مختلفة، والنتيجة هي أن الترعة الصناعية الموفورة القوة ستؤدي إلى انهيار عالمي.

---

٤١ Meadows. The Limits to Growth, 124.

٤٢ المصدر السابق.

٤٣ المصدر السابق.

وقد استخدم مؤلف "وراء الحدود" نموذج الحاسب الآلي نفسه وانتهى إلى النتيجة نفسها: "تجاوز العالم فعلا بعض حدوده، وإذا استمرت الاتجاهات الحالية سنواجه آفاق انهيار عالمي مؤكد ربما خلال حياة أطفال اليوم"[٤٤].

يتناقض هذا مع النماذج الحالية مثل "مسح المستقبل" الذي يفترض أن الرخاء سيستمر إلى الجيل المقبل[٤٥] وتؤكد التقارير الحديثة مثل تقرير هرمان كان Kahn "في المائتي عام القادمة بعد السبعينيات" على أن النمو يمكن أن يستمر ويجب معالجة بعض الترتيبات المؤسسية والتنظيمية الثانوية للسماح بالنمو، فالمشكلة عند "كان" هي فقدان الثقة وليست أية علاقة نظامية بين السكان والتلوث والقدرة الصناعية، ويعتبر "كان" الأزمة الحالية جزءا فقط من التحول العظيم الذي بدأ منذ قرنين مع بداية الثورة الصناعية، ويعتقد أن المستقبل الأقرب للوقوع هو أنه بقدوم عام ٢١٢٦ سيصبح الدخل الفردي عالميا ٢٠٠ ألف دولار (بدولارات ١٩٧٥) وأن عدد السكان سيصبح ١٥ بليون فرد ليصل إجمالي الناتج العالمي ٣٠٠ تريليون[٤٦]. بالطبع ستكون ثمة انتكاسات إلا أن عظم الاتجاه سيجعله يتجاوزها ويجب حل مشكلة السكان بإيجاد الثروة وليس تنظيم الأسرة والإجراءات الأخرى وستجد التقنيات الجديدة مصادر جديدة للطاقة وقد يتبنى العالم الثالث مؤسسات كفؤة وقيما ذات توجهات للنمو، فإن المستقبل مشرق.

٤٤

Sam Cole, "Learning to Love Limits", Futures 25, no. 7 (September, 1993): 814-818. (A review of Donella Meadows, Denis Meadows and Jorgen Randers, Beyond the Limits: Global Collapse or a Sustainable Future "London: Earthscan, 1992").

٤٥

Central Planning Bureau, Scanning the Future, A Long Term Scenario Study of the World Economy 1990-2015 (The Hague: SDU Publishers, 1992), evaluated in the excellent Bart van Steenbergen, "Global Modelling in the 1990's", Futures 26, no. 1 (January 1994): 44-56.

٤٦

Kahn, 7.

إلا أن المستقبل لا يمكن أن يكون مشرقا - إذا قيس بنموذجي (حدود النمو) والبشرية عند منعطف - إلا إذا تم خفض ضغوط السكان والتلوث وزادت عملية إعادة التشغيل وتحققت مساواة عالمية أكبر، ومع ذلك فإن لنموذج "البشرية عند منعطف" جانبا أكثر شمولا ويقدم إضافة لذلك - النتائج التالية:

١ - يجب تطوير وعي عالمي يحقق من خلاله كل فرد دوره كعضو في المجتمع العالمي.

٢ - الحاجة لأخلاقيات جديدة للموارد المادية للتعامل مع عصر الندرة القادم.

٣ - يجب تطوير اتجاه الإنسان والتوافق مع الطبيعة.

٤ - على البشر إنماء حس التوحد مع الأجيال القادمة[٤٧].

يرى مؤيدو نموذج حدود النمو أن الزيادة الفائقة في السكان ستؤدي إلى تدهور الموارد الذي سيؤدي إلى تدهور القدرة الصناعية ومن ثم إلى سوء التغذية وهبوط عدد السكان، وأيما كانت حجتك فإن مستقبل النمو بعيد الأمد كئيب. ونظرا لترابط تلك المتغيرات يجب أن نغير بشكل حاد قيمنا وافتراضاتنا حول كيفية صنع البشر للثروة وتقييمهم لها، وكيف يتعايشون مع الطبيعة. إن البديل عند نموذج "حدود النمو" حالة تجمع بين اقتصادات دولة وطيدة واستقرار بيئي واقتصادي. وغالبا ما تعزز الحلول الموضوعة حكم الفنيين (مثل تطوير تقنيات أكثر مقاومة للتلوث) ويفسر هذا - جزئيا - لماذا راج نموذج حدود النمو وحظي بالقبول، فحلوله وانتقاداته مما يمكن أن يتفهمه صانعو السياسة الليبراليون، فالمشكلة في النهاية هي السكان الغاية في الكثرة (مشكلة عالم ثالث) والتلوث (مرة أخرى تم إبعادها للجنوب) (والنمو الصناعي السيئ) (تطوير مجتمع نمو ما بعد صناعي) والموارد النافدة (إيجاد موارد جديدة). أما قضايا العدالة والمساواة فليست جزءا من المشكلة علاوة على ذلك

٤٧

Mihajlo and Pestel, Manking at the Turning Point, 47.

كانت هذه الدراسة والدراسات الأخرى جيدة الأداء لأنها متوافقة بشكل أساسي مع الرؤية المسيحية للكون[٤٨]، فحصلنا من المذهب البروتستنتي التطهري على فكرة القيود المعنوية، فالخاطئون هم منتجو التلوث والسكان واستنفاد الموارد ويمكن أن يهتدوا إذا تابوا (أصبحوا أقل أطفالا وتلويثا ويتجنبون استهلاك الموارد غير المتجددة) وبطبيعة الحال فإن كل خاطئ يهتدي يحمي النظام من تحول بالغ العمق[٤٩]. وأخيرا فكرة سفر الرؤيا من أن الكارثة قادمة وأنها بعيدة بحيث لا يمكن اختبارها واقعيا ولكن ليس إلى حد إهمالها[٥٠].

وأخيرا، ومن منظور العالم الثالث الإسلامي فقد تم تجاهل قضايا الاستعمار والإمبريالية والتوزيع غير المتكافئ للموارد (داخل الأم وفيما بينها) تماما، وبدلا من القلق بشأن أزمة ستنفجر بعد مائة عام فإن الكارثة التي يصفها المؤلفون حلت بالفعل في مدن متعددة، وعبر نموذج حدود النمو عن المخاوف من أن الأزمة ربما أصبحت الآن إشكالية لطبقة العالم الأول المتوسطة. إن نموذج "كاهن" و"حدود النمو" و"مسح المستقبل" كلها نماذج لا سياسية تفترض "عالما متحررا من الصراع في عالم تكتنفه الاضطرابات والصراع من كل جانب"[٥١].

أحد طرق معالجة هذا في إطار مبادئ الدراسات المستقبلية تبين الاختلافات العميقة عبر نطاق ممتد من المشاهد المستقبلية (السيناريوهات)، فهناك مشهد النمو (كمشهد كاهن) أو مشهد الانهيار (حدود النمو) أو مشهد إمكانية تحقيق حالة مطردة (البشرية عند منعطف) أو مشروع "عالم عام ألفين" الذي قدمه جيرالد بارني للرئيس كارتر أو (وهذا أمر حيوي) نطاق آخر من المشاهد التحولية حيث يتغير النظام بكامله، وهذا هو الإسهام الحقيقي للدراسات المستقبلية الأكثر نزوعا للرؤية التي تولاها جالتونج وداتور وهارمون

٤٨

Johan Galtung, "The Limits to Growth and Class Politics", in Essays in Peace Research, vol. 5 (Copenhagen: Christian Ejlers, 1988), 325-342.

٤٩ المصدر السابق.

٥٠ المصدر السابق.

٥١ المصدر السابق.

وجنجك وبوالدنج والعديدون غيرهم. والافتراض الكامن وراء التحولات أنها سواء تمت من خلال وسائل تقنية أو حضارية أو روحية أو غيرها من الوسائل فإن ثمة قفزة نظامية، وبذلك تحل المشكلات فلا يمكن حل المشكلات داخل الإطار الموضوعة فيه، والافتراض هنا أنه في الوقت الذي يصعب تغيير معظم فترات التاريخ، فإنه يكون خلال فترات التكون والتشكيل ممكنا وسهلا، وخطأ النماذج العالمية أنها - برغم ادعائها العالمية والتركيب والترابط داخليا - لم تفهم أن مجيء التحول من الهامش ممكن وأن حضارات كالإسلام يمكنها تجديد نفسها وأن تصبح صانعة للقوى العالمية بدلا من كونها متلقية للاتجاهات العالمية.

وأخيرا، وهو ما سيصبح مدخلنا للقسم الثاني من المقالة، فإن الاتجاهات التي تتم دراستها غالبا ما تكون الاتجاهات الأكثر وضوحا وهي ليست اتجاهات سياسية فحسب، بل عامة جدا و لم يجبر استكشاف تحليلات الاتجاهات الخفية أو القضايا البازغة ومن ثم تم وضع خطط لإبقاء ما لا يعكس بشكل ملائم للبيئة العالمية المتغيرة.

تحليل القضايا البازغة:

القضايا البازغة وفقا لرؤية جيمس داتور "James Dator"[٥٢] هي القضايا ذات التأثير الهائل على المجتمع وإن قل احتمال حدوثها، ولما كانت هذه القضايا في الأغلب غير مفصلة فإن داتور يرى أن أحد مؤشرات معرفة ما إذا كانت قضية ما قضية بازغة وليست مشكلة أو اتجاها أن تبدو سخيفة، فيجب أن تكون القضايا مزعجة ومستفزة وتجبر المرء على تغيير كيفية تفكيره ولاسيما في تحدي الافتراضات المسبقة عن طبيعة المستقبل. وإضافة إلى البحث عن القضايا البازغة بين المتون وقصص الأفراد والجماعات خارج حدود المعرفة التقليدية (الهامش على سبيل المثال) فإن من المهم مسح الأدبيات المتاحة ضمن

٥٢

James Dator, Emerging Issues Analysis in the Hawaii Judiciary (Honolulu: Hawaii Judiciary, 1980).

المعرفة الرسمية أولا وعلى المرء في هذا المسح أن ينتخب قدرا واسعا من الأدبيات وأن يكون قادرا على تحديد ما هو داخل النموذج المعرفي الإرشادي وما هو خارجه وما يمكن أن يحوله وما الذي لا معنى له، وعادة ما يكون للقضايا التي تقع خارج التصنيفات التقليدية إمكانية أن تصبح قضايا بازغة، ومن أمثلتها قضايا حقوق الإنسان الآلي وإنهاء الهندسة الوراثية للتكاثر الجنسي ونفي السيادة عن دول معينة بسبب عدم قدرتها على الوفاء بمعايير حقوق الإنسان، وقضية قيام أمم متحدة جديدة (مجلس للدول والمنظمات غير الحكومية، انتخابات مباشرة للمواطن، مجلس للشركات العالمية ومنظمات العالم العسكرية)، ونهاية الرأسمالية. وهذه القضايا كلها - بشكل عام - لا يحتمل وقوعها ولكن إذا وقعت سيكون له تاثير هائل على مجتمع المستقبل، إلا أن مجرد عدم احتمال وقوعها وآثارها الهائلة ليست شروطا كافية بل يجب أيضا أن توجد دوافع وأسباب لتفكير المرء بأن قضية ما هي قضية بازغة. يختلف تحليل القضايا البازغة عن ابتكار الخيال الجامح فهو بحث عن الموجات الرقيقة التي قد تصبح يوما موجات عارمة.

وهكذا يمكن استخدام تحليل القضايا البازغة لإبداع مشاهد بديلة للمستقبل.

المشاهد المستقبلية:

تستخدم المشاهد المستقبلية متعددة عديدة فهي تساعد عند البعض على التنبؤ بالمستقبل، وبالنسبة للبعض الآخر توضح البدائل، أما عندنا فإن المشاهد المستقبلية مفيدة في أنها تباعد عن الحاضر فتجعله إشكاليا وجديرا بالملاحظة إنها تكشف الحاضر وتسمح بصنع مستقبلات بديلة وتواريخ بديلة أيضا، ولا يمكن تغيير الحاضر عامة والحالة الإسلامية خاصة فالمسلمون إما يركزون اهتمامهم على الغرب وإما يختارون تواريخ معينة يعتقدون أنها أبدية، فلا يجب أن تصنع المشاهد مستقبلات بديلة فقط بل تواريخ لم تتحقق أيضا، إلا أنها قد تتحقق إذا تم استبدال عوامل معينة. وللمشاهد المستقبلية مهمة تتعلق بالرؤية فيه تسمح لنا باكتساب رؤى نافذة عما يريد الناس أن يكون عليه المستقبل أي

المستقبل المرغوب وهذا أمر مهم من ناحية اكتساب الأفراد أهلية صنع المستقبل بدلا من التنبؤ به فقط.

ولسوء الحظ فإن أغلب الفنيين يطورون نماذج للمستقبل باختلافات صغيرة بين اتجاهاتها بدلا من تطوير مشاهد ثرية مركبة، فعلى سبيل المثال اعتبرت المشاهد الثلاثة في نموذج مسح المستقبل مستديمة فمعدل نمو التحول العالمي ٣,٤% والأزمة العالمية ٢,٤% والنهضة الأوروبية ٢,٩%[٥٣] وقد يكون هذا النموذج عملا واقعيا إلا أنه ليس تحوليا والتحدي أمام المنمذجين المسلمين ليس مجرد نقد هذه النماذج فحسب، بل وعرض تعريفات بديلة لاستمرار البقاء. وأحد الأساليب الأخرى لتصميم المشاهد المستقبلية هو تغيير الافتراضات التي بنيت عليها، فيمكننا على سبيل المثال عمل مشاهد مستقبلية للسياسة العالمية تقوم على بنى مختلفة للقوة، أولها عالم أحادي القطبية أي استمرار الحاضر، وثانيها انهيار النظام ما بين الدول بما يؤدي إلى الفوضى داخل الدولة وفي ما بين الدول، وثالثها إنشاء نسق متعدد الأقطاب في وجود مهيمنين عديدين كالولايات المتحدة والجماعة الأوروبية واليابان والصين والهند وتركيا (بالنسبة إلى المنطقة الإسلامية)، كل منهم له مجال نفوذه، والنتيجة اللازمة عن هذه العودة لعالم ثنائي القطب ولكن بفاعلين مختلفين، ورابعها بنية حكومة عالمية، فيجري خلق السياسات عالميا في حين يتم تطبيقها محليا، الاحتمال الخامس وجود حضارة غربية متفتتة في تفاعل إيجابي مع أمة إسلامية، وسيكون هذا موقفا عالميا مع وجود تكتلات حضارية: أمة إسلامية، جنوب شرق آسيا بوذي كونفوشي، هند فيدية وهلم جرا.

وإذا كان بناء المشاهد المستقبلية مهما لتذكر أن المرء لا يستطيع تصميم مكان كامل بل أماكن جيدة، فإن التناقضات داخل المشاهد المستقبلية لا يجب إسقاطها.

٥٣

Steenbergen, 53.

ويجب أن تتضمن المشاهد المستقبلية أيضا دوافع متنوعة، فقد ركزنا في المشاهد المستقبلية المذكورة آنفا على الدوافع السياسية، ولكن هذه المشاهد المستقبلية تبقى ملتزمة بنموذج للحكم يميز الدول عن الأفراد والجماعات وروابط الناس، وتفتقد هذه المشاهد دور الأفكار والأرض نفسها والمرأة والطرق البديلة لرؤية العالم والتسمية غير الدولانية للواقع، فلا يجب على المشاهد المستقبلية أن تجد دروبا بديلة للحاضر فقط، بل إن تصور الحاضر بشكل مختلف باستخدام المفاهيم الأجنبية غير المألوفة للمستقبل بشكل جذري. إن القدرة على إعادة تفسير الماضي ومباراة الحاضر وخلق مستقبلات بديلة هي ما تجعل الدراسات المستقبلية مختلفة عن العلوم الاجتماعية العادية والتخطيط وبحوث السياسة، فالمهمة - على سبيل المثال - ليست تخيل مستقبلات بديلة للعالم الإسلامي فحسب بل إعادة التفكير والنظر في الحكم والقوة والبنية وجعل المفاهيم الحالية لكيفية تنظيمنا بوصفنا مسلمين لحياتنا الاجتماعية والسياسية مطروحة للتساؤل.

استكناه الماضي:

إن خلق استراتيجيات لتحقيق الرؤية المفضلة أمر محوري لإعادة التفكير هذه، وفي الوقت الذي يبني التخطيط التقليدي الأهداف تأسيسا على الحاجات المباشرة فإن عملية رؤية المشاهد المستقبلية البديلة تبني الأهداف على أساس استكناه الماضي، فيعتقد في هذا الخصوص أن المستقبل حدث بالفعل، ويملأ استكناه الماضي الأحداث والاتجاهات الضرورية لخلق مثل هذا المستقبل، فهو "يخلق تاريخ مستقبل؛ أي خطا زمنيا يوضح الأحداث التي يحتاج المستقبل قيد النقاش حدوثها ليبزغ من الحاضر الذي نعيشه"[٥٤]. وبالالتزام فعلا برؤية معينة للمستقبل يسمح استكناه الماضي للأفراد بتطوير خيال خلاق، وينعكس التلازم المنطقي الوسائل / الغايات لينشئ سلسلة من الأثر / النتيجة،

٥٤

Wendy Schultz, "Futures Fluency: Explorations in Leadership and Vision", (Ph.D. dissertation, Department of Political Science, University of Hawaii, 1995), 36.

وإذ تحققت الغاية يصبح التحدي أمام عملية الرؤية النقدية هو تذكر كيف تم تحقيقها، وهكذا يصبح المستقبل الذي كان يعتقد في السابق أنه مستحيل قابلا للتحقق، وقد قمنا باستطراد فلسفي مهم لتأطير النقاش حول مستقبل الأمة الإسلامية بشكل أفضل.

النماذج والحوارات الحضارية:

إذا كنا قد وجدنا أخطاء في النماذج السابقة لعدم وعيها بسياستها ولعدم تضمنها لإمكانية تحول النسق فإن بعض النماذج تسمح بالمناظرة حول التحول، وأحدها نموذج "عالم عام ألفين"، ويسعى هذا النموذج لتحديد النظام العالمي البازغ وتشكيل مستقبله وإطار هذا النموذج حوار تخطيطي دولي بين مجموعة مختلفة من الرؤى التي تفترض الاتجاهات الفائقة التالية[٥٥]:

١ - عدد سكان مستقر يتراوح بين ١٠-١٤ بليون نسمة بقدوم القرن الحادي والعشرين.

٢ - ستزيد المخرجات الصناعية بمعامل يتراوح بين ٥-١٠ على مدار العقود القليلة القادمة (ستقل المخرجات الوسيطة كثيرا نظرا لاكتشاف وسائل إنتاج أكفأ).

٣ - يرتبط العالم بوسائل الاتصالات وغيرها من التقنيات البازغة مع بقاء بعض المجتمعات فقيرة في المعلومات وأخرى ثرية بالمعلومات.

٤ - إن ثمة ثورة في التقنية فائقة التقدم في الموروثات والإنسان الآلي والتقنيات الخضراء.

٥ - تكامل علمي في شكل ثقافة عالمية مشتركة وشكل ما من الحكم العالمي.

٦ - مزيد من التنوع والتعقد (في شكل طبقات الهوية والحكم).

٧ - وجود جريمة وإرهاب وحرب محدودة.

٨ - قيم متجاوزة.

---

٥٥ Halal, "World 2000", 8-9.

٩ - معيار عالمي للحرية وحقوق الإنسان.

علاوة على ذلك تسمح النماذج بالمناظرة حول تحديد القضايا النقدية التي تعوق التحولات:

١ - نقص التنمية المستديمة التي تقدر أجيال المستقبل.

٢ - الفجوة بين الشمال والجنوب.

٣ - إدراة التنوع والتعقيدات.

أما الاستراتيجيات فجميعها مثالية تركز على التقنيات الخضراء وأنساق التعاون والمؤسسات التي تعمل على التخلص من المركزية والمشروعات التي تجعل الإنسان محورها، وهذا النموذج في الحقيقة حوار يهدف إلى استحضار المنظورات الحضارية الأخرى، إلا أنه من الواضح أنه أخفق في دعوته لحوار حضاري ولكنه احتفظ بإطار فني (تكنوقراطي)، والأكثر من ذلك، فبإمكان المرء أن يلقي نظرة على اقتباساته ومقتطفاته ليدرك فقر مصادره الثقافية. ومع ذلك فإنه بداية مهمة، وعلى الأقل مقدمة حوار يلحظ المناظير غير الغربية. هذه المنظورات وغيرها ملخصة بشكل جيد في كتاب "ميشيل مارين" الأخير "مستقبلات العالم والأمم المتحدة"[٥٦]. ومع أن مارين لخص مئات الكتب والمقالات عن المستقبل فقد استخدم في ذلك التصنيفات التقليدية مثل التقنية والبيئة والعولمة، ونحتاج تلخيصا مشابها من المنظورات الحضارية الأخرى (على سبيل المثال براما أو التوازن الحركي من الهند أو أوهانا من هاواي) أي يجب إدخال طرق أخرى للمعرفة وعلوم أخرى في النقاش على مستوى المعرفة المصنفة، ولحسن الحظ قام منور أنيس ببحث في "الدورية الإسلامية" بدأ فيه تصنيف المعرفة انطلاقا من إطار غير غربي.

إلا أن المشكلة الأعمق، وهي مشكلة محورية بالنسبة إلى قضية تخيل المستقبلات البديلة، تتمثل في أن العمل الفكري لا يزال يقوم على الحاضر،

٥٦

Michael Marien, World Futures and the United Nations, (Bethesda, MD: World Future Society, 1995).

وكما ذكرنا آنفا نحتاج إيضاح القضايا البازغة، وسنراجع في هذا الخصوص جهدين عظيمين. يعتقد جيمس داتور[٥٧] أننا في تحول تاريخي يجعلنا غرباء في أرض غريبة. وحدد خمس موجات عارمة تبشر بتغيير العالم، وفي حين أن الاتجاهات لا يمكن تغييرها فإن الموجات يمكن كسرها وهذه الاتجاهات عند داتور هي:

١ - السكان: التغير في سكان العالم مع وصول القوقاز لنسبة ٥% من سكان العالم بحلول سنة ٢٠٢٥.

٢ - الاقتصاد: عولمة رأس المال والعمل والتقنية والسوق إلى حد أن البطالة ستصبح الهدف الوحيد المعقول وسينتج عن هذا دولة رفاه عالمية.

٣ - البيئة: مع أن التلوث وارتفاع مستوى سطح البحر بنفس أهمية نقص المياه فإن الأهم من هذا انتهاء التمييز بين ما هو من صنع الإنسان وما هو طبيعي.

٤ - التقنيات: الجزئية والحيوية (البيولوجية) والإلكترونية كلها تبشر بتغيير من نحن ويسأل "داتور" ماذا سنقول لمن يستنسخنا؟

٥ - الحكم: معظم الأنساق ستكون محلية وعالمية، إلا أن العديد منها سيصبح في الفضاء، فالفضاء يبشر بتحويل أفكارنا المرتبطة بالأرض عن الثقافة والدين والتقنية.

ستواجه هذه القضايا بشكل حاد العالم الإسلامي. كيف ستواجه الأمة الإسلامية مسؤوليتها عن نصيبها الأكبر من سكان العالم؟ وهل سيبقى الإسلام مهددا؟ وهل سيطلع الإسلام بدور في العولمة بتجاوز مجرد تصدير العمال والنفط؟ وهل ستنتشر النماذج الإسلامية للأخلاقيات البيئية على نطاق واسع؟ وهل سيبدع المسلمون تقنيات جديدة أم سيستمرون متلقين لها؟ وهل ستبقى النماذج الإسلامية للحكم تسلطية أم ستصبح ديمقراطية أم ستسيطر نماذج

٥٧

James Dator, "American State Courts, Five Tsunamis and Four Alternative Futures", Futures Research Quarterly 9, no. 4 (Winter 1993): 9-30.

جديدة مثل نموذج سنجافورة الأبوي حيث الأب يعرف ما هو أفضل، وكيف يمكن التوفيق بين الإيمان بأفكار أحادية عن الإسلام والنزعة الإنقائية عند مسلمي اليوم؟ وبم تكون ثمة قضايا بازغة أكثر دلالة وقد عرضت بعضها والتي ستتحدى تأكيدا العالم الإسلامي على الأقل بنفس الشكل المؤثر لموجات "داتور".

القضايا البازغة:

أول القضايا البازغة هي نهاية الواقع[٥٨]، فبسبب التقاء الواقع المادي بالواقع المنشأ اجتماعيا عبر التطورات في الكمبيوتر والذكاء الصناعي والواقع الافتراضي والمناظير المعرفية الراقية، وبعد أن أصبح الواقع بسبب ذلك دالة في موقع الفرد بشكل أكبر من ماهية الفرد (أي أن الواقع إطار تابع)، سيكون الواقع كما نعرفه قد انتهى، ولم يعد واضحا ما القيمة وما النظرية وما البيانات، فمع القدرة على توسيع تقنية الحاسب الآلي لن نكون قادرين على تمييز الواقعي من الخيالي، فقد لا تعدو صورة قائد عالمي يعد بالرخاء كونها صورة صنعها الفنيون المأجورون. سيضعف الإخلاص للمفاهيم التقليدية للتمثيل وستتعقد مشكلة النص الأصيل أكثر لأن التفرقة بين أنماط الواقع ستصبح غائمة. هل ستعرض الأديان إذا خبرات من الواقع الافتراضي لتصورها للإله؟ وبهذا المعنى يصبح الإسلام أقل تعرضا للخطر لأنه لا يركز على الصورة، ولن يصبح الواقع مثلما كان مرة أخرى، وسنكون موجودين في قناعات معرفية متعددة تمتد بفعل دورة الابتكار الثقافي. فما الذي سيصبح أساسيا؟ وإذا كان العالم الإسلامي لن يحوز هذه التقنيات في الأيام القليلة القادمة فإنه سيشعر بآثارها في السنوات القليلة القادمة.

٥٨

Sohail Inayatullah, "Beyond the Postmodern: Any Futures Lift?" Islamic Periodica 5, no. 1, (1995): 2-3 and Sohail Inayatullah, "United We Drink: Inquires into the Future of the World Economy and Society", Prospectiva 3 (April 1995): 4-31.

اقتبس جزء كبير من هذا الفصل من:

"Islamic Responses to Emerging Scientific Creativity 6, no. 2 (1995): 47-68.

سيصبح التقدم في الهندسة الوراثية بالقدر نفسه من الإضرار بمفاهيمنا التقليدية للواقع إلا أن الهندسة الوراثية بدلا من إنهاء الواقع ستنهي الطبيعي، فستبدأ الهندسة الوراثية بشكل غير ضار تماما حيث نريد جميعا تجنب الطفرات الشاذة والأمراض الوراثية العديدة، وهكذا سنرغب - بشكل عقلاني - في فحصنا بالهندسة الوراثية لعائلاتنا ولكن هذا سيؤدي في الحال إلى تحسين القدرات وليس الوقاية من الأمراض، فسيصبح الذكاء والذاكرة وسمات الجسم والجمال مطروحة للنقاش، وقد تدير مصانع الدولة الولادة وقد نكون آخر جيل ينجب الأطفال بالطريقة القديمة، وستكون التقنية قد أنهت الدورة البيولوجية الحيوية ولن تختلف المرأة بأي شكل عن الرجل حالما تصبح قدرتها الإنجابية غير ضرورية. وثمة أسباب للانزعاج إذ إن المشهد المستقبلي المحتمل هو المشهد الذي تديره قلة لصالح القلة وتنتقل فيه موروثاتنا من الحيز الشخصي إلى السوق.

وإذا كانت الثقافة وعلم الحياة (البيولوجي) في العادة علوما تابعة فسرعان ما سيصبح بإمكان التقنية أن تحول ذواتنا البيولوجية، ويجب في أي نمط للعلم ألا يكون هذا الجهد جهدا خاصا بل يدخل ساحة النقاش العام، ويجب ألا تدرس قيمة هذه التحولات الدرامية فقط، بل يجعل المشروع مسؤولا أمام الجمهور، فالهندسة الوراثية التي يجري حاليا تطويرها تنذر بخلق مخاطر لم نتخيل قط إمكانيتها. وهي تنازع الرؤية بأن الإله وحده هو الذي يمكنه خلق البشر. ومن والواضح كما حاجج "منور أنيس"[٥٩] أن علاج الموروثات ناهيك عن الاستنساخ ينتهك كل ما قرره الإسلام عما هو طبيعي وعما هو خطأ.

القضية المؤثرة الثالثة هي نهاية السيادة فنماذج الفعل الاجتماعي التبادلية أي رأسمالية السوق والحركة البيئية والحاجة لنظام إنذار مبكر ضد الحرب

٥٩

Munawar Anees, "Human Cloning: An Atlantean Odyssey?" Eubios Journal of Asian and International Bioethics 5, no. 1 (1995): 36-37. Also available from Periodica Islamica, 22 Jalan Liku, Kuala Lumpur, Malaysia, 59-100.

والكوارث الطبيعية تتضمن كل شئ إلا زواء الدولة وإن استمرت مكاتب التأشيرات وجوازات السفر في جعل حياة العمالة بائسة عامة وعمالة العالم الثالث خاصة.

وقد حاولت نزعة الحماية الأمر نفسه بالنسبة إلى رأس المال و لم تحقق إلا قدرا ضئيلا من النجاح، فرأس المال هو الأكثر حركة، والعمل أقلها حركة. أما الأفكار فتنتشر بشكل عام من أعلى من الغرب وفي اتجاهات أخرى أيضا. لن تكون السيادة إشكالية على المستوى الاقتصادي فحسب، بل على مستوى الذات أيضا (أصبحنا أشخاصا كثيرين من ثقافات شتى). وعلى مستوى النص (لم تعد النصوص تنتمي أو تخص مؤلفا واحدا بل أصبحت أكثر معرفية في ملكيتها) وسيستمر إغفال أسماء المؤلفين بشكل أكبر حيث سيصبح البريد الالكتروني والكتابة غالبين، وسنعيش في عالم من الكلمات التي تفتقد المركز وستكون محاولة خلق أطر ثقافية متفردة أصعب بكثير في عالم تخلق فيه قوى العولمة ثقافة واقتصادا عالميين، وستصبح حماية الذات والثقافة والتاريخ صعبة بشكل متزايد ولكنها ضرورية لضمان عالم يقوم على التعددية. وإن قدرة العالم الإسلامي والأمة الإسلامية على أن تجد مكانا لنفسها جزء من قيام عالم لا مركزي، لأن الهيمنة الفكرية ستقل وسيصبح العالم بشكل أكبر سوقا حقيقية وسيستمر حيز السيادة في الهبوط من الإله السيد إلى الملك كسيد ثم الشعب. والآن إلى فكرة أن الذات سيد، والتحدي الماثل أمام العالم الإسلامي عام ٢٠٢٥م إسباغ الشرعية على نموذج مترابط للإله والجماعة والأسرة والذات في وضع ما بعد حداثي حيث أولوية الذات الأنانية محل منازعة.

وأخيرا فإن التقدم في علم الإنسان الآلي والذكاء الصناعي لن يحول جوهريا حركة العمالة وتعريفنا للعمل فحسب بل ومفاهيمنا لما يعنيه كوننا بشرا أيضا ويمكننا استشراف زمن يصبح فيه للإنسان الآلي وضع قانوني وإن لم يكن نفس وضع الآدميين ولكن سيتم إيجاد أو تطوير نمط ما من التصنيف القانوني ليعطي الإنسان الآلي الحماية والقابلية للوم.

من السهل تصور الانتقال من عرض الإنسان الآلي كآلة إلى النظر إليه كحيوان أعجم ولكنه محبوب ثم اكتسابه حقوقا قانونية كتلك التي للأطفال. وسيؤدي هذا مع اقترانه بزيادة قوة الحركة البيئية إلى نهاية الإنسان كفئة تعريفية أولية وهذا - جزئيا - بسبب تطور علم الإنسان الآلي وأيضا بسبب التصورات الجديدة للحياة التي تجادل بأن الكون أكثر إلغازا من ذلك بكثير.

تبشر هذه التقنيات بالنسبة إلى الرأسماليين بالتحديد واستعادة الحيوية بعد الإنهاك الذي بدأ خلال السبعينات والثمانينات فهي تبشر بإحياء فكرة التقدم وسيقوم المشتغلون بالحاسب الآلي وخبرات مختبرات الإعلام والهندسة الوراثية بإحياء الرأسمالية، وستطرح هذه التقنيات الجديدة مشكلات حادة أمام بعضنا ممن يعتبرون أن الطبيعي ثابت وليس متغيرا بشكل مطرد وفي عملية خلق جديد، كما أن التقليديين المتزمتين الذين لا يتبنون رؤية حركية للمعرفة يفسح الاجتهاد لهم المجال للتقليد، سيجدون، بشكل خاص أن العشرين أو الثلاثين عاما القادمة هي أفضل الأعوام وأسوأها؛ الأفضل لأن قوى التقليد ستكون كبيرة، والأسوأ نظرا للحقائق التكنولوجية الإنسانية لبحث نفسها بشكل مطرد. وهكذا لن يكون من السهل رد الطبيعة على أعقابها، والاحتمال الأغلب أنه لن يتم التحكم في هذه النشاطات الحيوية بالقواعد المنظمة التي تقرها الدولة بل بالتقنيات الجديدة نفسها. وقد يكون الرد على هذه الأنماط من المشكلات في التقنيات المتقدمة (ماديا وروحيا وعقليا)، فستتم إعادة تعريف التقنيات ذاتها في هذه العملية لا كمجرد عمليات مادية بل كعمليات عقلية وروحية تتأصل في حضارات معينة، ومفاهيمنا للطبيعي والواقعي وللحقيقة والثقافي لن تعود ثابتة.

تهدد هذه الاجتهادات فكرة التقليدية المتزمتة والحداثة لأن الواقع والطبيعة والسيادة والحقيقة كلها مهددة وثمة حاجة بعد الفوضى التي أحدثتها هذه التغيرات لنمط ما من التوجيه، والتوجيه هنا لا ينطوي على التقليد بطبيعته بل توجيه يوجد توازنا جديدا بين المحلي والعالمي وبين الطبيعة والتقنية.

لقد خلقت هذه التغيرات عالمـــا ما بعد حداثي، وإذا كانت ما بعد الحداثة قد دمرت أساس ما هو واقعي، فإنها فتحت للعالم واقعـــا جديدا، ويمكـــن أن يقدم إسلام مفسر من جديد بشكل جدير بعقائده الأصيلة ذلـــك النمـــوذج الإرشادي، والأمة الإسلامية هي التي يمكن أن تسمح بفتح باب النقاش للتحرر من الرغبة في الثأر والبحث من مستويات متعـــددة للواقـــع فنحيـــا في عـــالم الحضارات بطرق متعددة للمعرفة وأشكال متعددة للمعرفة (وميادين جديـــدة بشكل جديد). وقد يكون عالمـــا جديدا بشكل درامي ولكنه بخلاف الحـــاضر عالم مألوف.

المستقبلات الإسلامية البديلة:

ولكن هل ثمة ما يمكن قوله عن هذا العالم غير المألوف؟ فعلى حين أن ثمـــة قدرا عظيما من الفكر في العالم الغربي فإن التفكير المستقبلي في العالم الإسـلامي – باستثناء أعمال سردار والكتابات الأخرى في مجلات الدراسات المستقبلية – ضئيل جدا.

الخلاصة العامة التي توصل إليها سردار[٦٠] أن المســـلمين ضلـــوا طريقـــهم وفقدوا قدرتهم على الاشتغال بالاجتهاد وأصبحوا إما متأثرين كلية بـــالتغريب وأما في حالة رد فعل على هذا. إن الإسلام في حاجة لإعادة تشكيل نفسه على أساس رسالة النبي الأصلية. ويقدم الإسلام – برأي سردار – الاتجاه والتوجيـــه والنموذج المعرفي الإرشادي وطريقة التفكير ومقاربة المستقبل بانفتاح نقـــدي، فهو دعوة للفكر وللمستقبل وهذا ما يجب غرسه في الأذهان.

---

[٦٠] انظر:

Sardar, The Future of Muslim Civilization; Islamic Futures: The Shape of Ideas to come; Information and the Muslim World: A Strategy for the 21st Century: How We Know: Ilm and the Revival of Knowledge; and Muhammad for Beginners.

انظر أيضـــا:

Sohail Inayatullah, ed., Islam, Science, Postmodernism and Alternative Futures: The Zia Sardar Reader (forthcoming).

يمكن تقسيم عمل سردار إلى ثلاث مقولات: الأولى معنية بمستقبل الحضارة الإسلامية نفسها. والأسئلة الموجهة لسردار هي: ما الاتجاهات الجارية التي تشكل المستقبلات الإسلامية؟ وماذا يمكن أن يقدم الإسلام للحضارات الأخرى ولا يجب النظر إلى إعادة بناء الحضارة الإسلامية بنظرة النماذج العظيمة التبسيطية فيجري التنبؤ بعدد المسلمين الملتزمين بالإسلام أو غير الملتزمين، بل التساؤل ما كيفيات وطرائق رؤية المسلمين لأنفسهم وللمستقبل من خلال رسالة النبي، وما إذا كانوا يستخدمون رسالة الله لدى تفسيرها بشكل عقلاني لكل عصر أم يستخدمون مواقع للمعرفة غريبة عن تاريخهم هو ما سيحدد مستقبل الإسلام كما حاجج سردار.

المقولة الثانية مهتمة بالعلم الإسلامي ويحاجج سردار بأن العلم الغربي عنيف في مواجهة الذات والمجتمع والمعرفة نفسها، وما نحتاجه هو علم إسلام كلي أو بتعبير سردار علم إسلامي"معني بالقيم العالمية للإسلام التي تؤكد على العدل ووحدة الفكر والقيم والأفكار ومدخل كلي لدراسة الطبيعة والملائمة الاجتماعية للمحاولات العلمية والفكرية وسيتم في هذا الإطار تجنب التشظي وافتقاد المعنى ونزعة الاختزال اللامتناهي وادعاء قوة أشبه بقوى إلهية واحتكار الحقيقة وتهميش وقمع الأشكال الأخرى من المعرفة"[٦١] بحيث يستخدم علم إسلامي النموذج المعرفي الإرشادي كإطار ليسأل أنواعا مختلفة الأسئلة (عن الفقر والاستضعاف ونقص التعليم في البلاد الإسلامية)، وأيضا لتأطير أسئلة خارج مشروع العلم والتقنية ودور التنمية العربية. وبحيث يستجيب هذا العلم الإسلامي لدعوة القرآن للعلم فيسعى إلى المعرفة لتحليل المعاناة الإنسانية ويرفع المرأة والرجل إلى حالة من السمو وليس تركيز البحث على مشاكل ضئيلة الجدوى للدول الإسلامية. فهو علم إسلامي له منهجية ذاتية موضوعية (أي تقوم على رؤية للعالم ليست خالية من القيم كالعالم الغربي)، ويحول البحث إلى

٦١

Zia Sardar, "Islamic Science: The Way Ahead" (Islamabad, Pakistan: OIC/COMSTECH, 1995), 36 (booklet).

القضايا التي تهم المسلمين. وهكذا فإن ما نحتاجه علم إسلامي ونموذج معرفي إرشادي يتسم بالكلية وتعدد العقول المعرفية ويلتزم بالنمو والتوزيع والقيم والأخلاقيات الأساسية. والالتزام بالقيم مهم جدا في وقت يتحرك فيه الغرب صوب نزعة النسبية التي بعد الحداثية.

مقولة سردار الثالثة هي مواجهة ما بعد الحداثة بالإسلام. وأفضل من مثل لهذا الالتقاء ميريل واين دافيز في كتابه "**الخيال المشوه**"[٦٢]. ويتساءل سردار ما إذا كانت ما بعد الحداثة ستحول فعلا الوضع الحديث وسيطرة الغرب أم أنها مجرد استمرار لتخيل الغرب المشوه للحضارات الأخرى. وعلى حين يبهر الكلام عن نظام المعلومات وتضمينات ثورة العلم والتكنولوجيا المثقفين العلمانيين، فإن الغالبية في الأقطار الإسلامية ليست في موضع يسمح لها بالمفاضلة والنقد، فلا زال عليها الحصول على الحاجات الأساسية كالطعام والمأوى وحقوق الإنسان الأساسية. وعلى الباحثين المسلمين كما قاوموا الحداثة أن يقاوموا ما بعد الحداثة، فيجب أن يسألوا من سيكسب وكيف ستؤثر التقنيات الجديدة والقناعات الجديدة على العالم الإسلامي، ولا يعني هذا أن على الحضارة الإسلامية أن تبقى في الماضي بل بالأحرى أن تتم إعادة تفسير الماضي لصنع مستقبلات تختلف عن المستقبلات التي بعد الحداثة، فيرى سردار أن الاعتقاد بأن المسلمين يستطيعون وسيعيدون تفسير الإسلام بشكل عقلاني للعصور الحالية والمقبلة هو أمل المستقبل.

وإضافة لجهود إبداع رؤية إسلامية معينة للمستقبل بدأ سردار وغيره في رسم مدى من المستقبلات الممكنة وسنبحث ثلاثة من هذه المشاهد المستقبلية.

٦٢

Sardar and Davies, Distorted Imaginations (London: Grey Seal, 1990).

انظر أيضا ما صدر حديثا:

Zia Sardar, Postmodernism and the Other: The New imperialism of Western Culture (London: Pluto Press, 1998).

الأمة كجماعة تفسيرية:

حاجج أنور إبراهيم[٦٣] في مقالة متميزة له في عدد خاص من مجلة "المستقبلات" عن الإسلام والمستقبل بأننا نحتاج لتجاوز التفكير بمصطلحات العالم الأول والثاني والثالث وأن نبدأ التفكير في المستقبل بمصطلحات الأمة الإسلامية وأوضح أنور بجلاء ما يعنيه:

١ - الأمة مفهوم حركي يعيد تفسير الماضي ويواجه التحديات الجديدة.

٢ - على الأمة مواجهة المشكلات العالمية كالمشكلة البيئية فالأمة كجماعة مطلوب منها الاعتراف بالمسؤولية المعنوية والعملية عن الأرض كأمانة، وأن أعضاءها مؤتمنون مسئولون عن وضع الأرض ويجعل ذلك الاهتمامات البيئية عنصرا حيويا في تفكيرنا وعملنا، وهذا ميدان أولى يجب فيه أن نشتغل بشكل فعال بتغيير الأمور[٦٤].

٣ - يجب النظر إلى الأمة على أنها أداة نقدية كعملية الاستدلال نفسها.

٤ - العدالة والمساواة مبادئ ومتطلبات أولية للأمة ويعني هذا الالتزام باستئصال الفقر وتجاوز مناظرة التنمية، لأن هذا الإطار يؤطر القضية في لغة لا نقدية ولا سياسية ويعني البدء في ذلك إعادة التفكير في التجاوز وتنمية التجلرة بين الشمال والجنوب، وكذلك "أدوات جديدة للمحاسبة المالية والتعامل وتمويل بنية أساسية جديدة للطرق والنقل[٦٥].

٥ - الالتزام بتوفير المعرفة بالقراءة والكتابة للجميع، فكما كتب أنور إبراهيم "يمكن بالوصول لتعليم مناسب أن يأخذ وعي الأمة مكانه اللائق ويجعل أمة الغد ممكنة كتجسيد للأخلاقيات الإسلامية الأصيلة الثرية بالفكر النقدي البناء والخلاق"[٦٦].

---

٦٣ "The Ummah and Tomorrow's World", Futures 23, no. 3 (April 1991): 302-310.

٦٤ المصدر نفسه.

٦٥ المصدر نفسه.

٦٦ المصدر نفسه.

وهكذا فإن ما يدعو إليه ليس الحداثة بل لنزعة تقليدية نقدية ومنفتحة تستخدم الماضي التاريخي لصنع مستقبل مشرق، ولا يجب أن يصبح مفهوم الأمة مفهوما استعماريا بل مفهوما يتطلب أن يعمل المسلمون مع الحضارات الأخرى في حوار لإيجاد توافق على المبادئ (وأن يكونوا مستعدين للدفاع عن هذه المبادئ وليس كما حدث في البوسنة). إننا نحتاج لاستعادة حقيقة للأمة التي عرفت تاريخيا نماذج لمجتمعات تعددية متعددة الأعراق والثقافات والأديان[٦٧] والأمة الحقيقية تحترم حقوق غير المسلمين كما فعلت دولة المدينة.

مستقبل بلا اسم:

في العدد نفسه من مجلة "المستقبلات" أخذنا "جالزار هايدر" إلى مستقبل إسلامي بلا اسم[٦٨] فاكتشف في محاولته لتخيل مثل هذه الأمة أنه لا يستطيع ذلك. فبعد استغراقه في النوم يصحو عام ٢٠٢٠ ليرى رجالا كثيرين يتحدثون مع بعضهم بعضا ولكن كلا منهم يستشهد بتعليمات وإرشادات سادته، وبرغم أنهم يقدمون بعضهم بعضا على أنهم إخوة فإنهم في إحباط باد[٦٩].

ويخلص إلى الرؤية التالية "رأيت مشهدا لمستقبلات المسلمين التي تبدو مدينة مفتتة ومحدودة ومقيدة من الخيام المنفصلة، البعض أحياء ومتيقظون إلا أنهم منبوذون خارج المدينة ومستمرون في بحثهم عن المدينة ومن ثم في القراءة والكتابة والحديث بلا خوف إلا من الله تعالى ونبيه إلا أنه لا اسم لأي منهم[٧٠].

إن أحد المستقبلات المحتملة، حسب معطيات الاتجاهات الجيوسياسية الحالية، تفكك الإسلام داخليا وخارجيا. داخليا نظرا للضغوط الخارجية وأيضا بالتصارع المذهبي والانقسامات السنية الشيعية والنماذج المختلفة لما يعنيه كون المرء مسلما أن العديد من هذه المعارك قضايا ثأر من التاريخ

---

[٦٧] انظر:

Anwar Ibrahim, The Asian Renaissance.

[٦٨]

Gulzar Haider, "An 'Islamic Future' Without a Name", Futures 23, no. 3 (April 1991): 311-316.

[٦٩] المصدر نفسه، ٣١٤.

[٧٠] المصدر نفسه، ٣١٦.

البغيض بدلا من تخيل المستقبلات المرغوبة. وتطرح القوى الخارجية من قبيل التغيرات في التقنية والعولمة والسياسة العالمية تساؤلا حول ما إذا كان المسلمون يستطيعون الارتفاع إلى مستوى التحديات التي يفرضها عالم في حالة تحول.

سيستمر الإسلام بالطبع ولكن هل سيكون ثمة مسلمون أهل لهذا الوصف؟ وحتى لو تملك المرء الرعب لهذا المستقبل فإن هذا المشهد المستقبلي يبقى سؤالا من نوعية أسئلة ماذا لو... مهم فهو يدفع للتفكير النقدي في الذات والجماعة ويدعو لعمل ملموس بامتداد الأمة.

الإسلام كاختلاف:

إذن يمكن أن يصبح الإسلام - بشكل عكسي - من خلال الفعل الإنساني هو الاختلاف في العلم والسياسة العلميين. وكما كتب سردار فإن الإسلام لا يمكن إغفاله "فسواء جرى النظر إليه كقوة للتحرر أو كخطوة سلطوية للتقهقر نحو العصور الوسطى فإن الإسلام لا يمكن تجاهله"[٧١] فالإسلام بالنسبة إلى سردار هو الاختلاف الذي سيضع القرن القادم. وقد حاجج جالتونج على سبيل المثال أن بين الإسلام والغرب علاقة توسع / انكماش، فحيث ينكمش أحدهما يتمدد الآخر[٧٢]. وعلى حين يفقد الغرب قدرته على الحفاظ على التوسع المفرط واستغلال الطبيعة والآخر فسيأتي إما ليجعل المشروع مستمرا (كما فعلت اليابان) وإما ليحوله.

وكما كتب سردار كان من السهل في بداية القرن العشرين شطب الإسلامي - المستعمر والمهزوم والراكد - من التاريخ ومن المستقبل ولكن مع

---

٧١ Zia Sardar, "Islam and the Future", Futures 23, no. 3 (April 1991): 223.

٧٢ Johan Galtung, Tore Heiestad, and Eric Rudeng, "On the last 2500 Years in Western History: And Some Remarks on the Coming 500", in The New Cambridge Modern History, Vol. 13. Companion Volume, ed., Peter Burke (London: Cambridge University Press, 1979).

بزوغ القرن الحادي والعشرين فإن الإسلام الناهض الواثق "الأصولي" المناضل مفعم بالحياة[٧٣].

ولكن أي إسلام؟ سيصبح هذا الأمر مهمة الناشطين والمفكرين المشتغلين بالعالم الإسلامي والمستقبلات الإسلامية: أن يتخيلوا ويصيغوا إسلاما يصنع المستقبل ولا ينوء بعبء التقدم في تقنيات الموروثات والمعلومات والعولمة إسلاما يجب أن ينشغل في ثورة العلم والتقنية العالمية ولكن في إطار القيم والمصطلحات الإسلامية للعلم الإسلامي.

في أوقات تحول الحضارة هذه حيث الفوضى حالة بشكل غير مسبوق ثمة قطب جاذب واحد يؤدي إلى حالة عالية التعقيد هو حس الاتجاه والأخلاقيات العميقة وحسن الهدف الداخلي.

إذا استطاع الإسلام تقديم ذلك ستصبح أمة المستقبل ناشطة نابضة بالحياة.

ملحق:

توصيات

١ - يجب أن تتضمن جهود المستقبل أبعاد تخطيط استراتيجي وتوجهات مستقبلية أبعد تتسم بطابع الرؤية، ويجب استخدام مناهج كمية (بما يفضي إلى الدقة) وكيفية (بما يفضي إلى الرؤية).

٢ - يجب أن يستكشف المسلمون المستقبلات البديلة ناظرين للواقع على أنه منشأ اجتماعيا ومع ذلك يجب أن يختار المسلمون مستقبلا معينا ثم تطوير خطط لتحقيقه.

٣ - يجب على المسلمين تطوير نماذج محاكاة بالحاسب الآلي ناجمة عن النموذج المعرفي الإرشادي الإسلامي وتعكس الاهتمامات الإسلامية.

٤ - تحتاج الأمة إلى الانشغال بنطاق واسع من الأنشطة المستقبلية المحتملة والأقرب للوقوع والمرغوبة والممكنة أو بعبارة أخرى التنبؤية والاختبارية

---

٧٣ Sardar, "Islam and the Future", 223.

والنقدية وذلك من خلال مؤسسات مثل منظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية.

٥ - يجب أن يدير المسلمون بحوثا عن الأبعاد الزمنية في الحضارة الإسلامية (على مستويات متنوعة: على المستوى الفردي والقومي ومستوى الجماعة والمجتمع العالمي) والقيام بمسوح لتوقعات المستقبل والرغبات والاحتياجات ومقارنتها بمشاريع المسوح الأخرى مثل "البشرية عام ألفين".

٦ - يجب أن تتضمن جهود تخيل المستقبل والتنبؤ به إثارة القضايا البازغة سواء لمعرفة كيف تخلق أنماط التفكير التقليدي أو معرفة نفعها في التنبؤ.